المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي الجامعة الزيتونية

الجزء السادس - المجلد التاسع

فهـــرس الجـــزء الســـادس



بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الزيتونية

ماضيها ـ حاضرها ـ مستقبلها

جامع الزيتونة الاعظم كمعهد دراسي له تاريخ مجيد درست فيه العلوم الاسلامية وسائل ومقاصد ودرست فيه العلوم الزمنية والفنون من القرن الثاني للهجرة جلس فيه للتدريس امثال علي ابن زياد وهو من رجال ذلك القرن وتخرجت فيه طبقات اشتهرت في التاريخ بسمو المدارك العلمية وغزارة المعلومات وعلو الكعب في التدريس والفتوى والقضاء والتاليف وزانت مناصب الدولة والادارة.

فالسند العلمي متصل الحلقات على مر العصور الى عهدنا الحاضر وهو الميراث الاسلامي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاع بين امته اخذ كل منه بنصيب وكان النصيب الاوفر لعلماء الملة الذين حفظوا الشريعة ونقلوها عن اسلافهم الى من خلفهم على مر الزمان طبقة بعد طبقة وكان علماء كل عصر لهم ميزاتهم في التدريس والتاليف واساليبهم التي تطبع عصرهم بطابع خاص حسب الميزة التي يمتاز بها اهل كل عصر عما سواهم

وكان التعليم القومي في الايالة التونسية يسير على منهاج جامع عقبه بن نافع في القيروان وجامع الزيتونة في تونس ثم جامع العبيديين في المهدية وهو المنهاج المتبع في سائر معاهد الشمال الافريقي

والمعاهد العلمية في بلدان الايالة التونسية تستمد رجالها منها وتتبع منهاجها التعليمي

فبعد ان ياخذ التلميذ نصيبه من القرآن العظيم ومبادي بعض العلوم ينخرط في سلك احدى المعاهد ويترقى في مدارج المعرفة كل بحسب مؤهلاته واستعداداته المادية وغيرها ومواهبه الفطرية التي تؤهله للاستكمال او تقف به في درجة لا يقدر على تخطيها وتجاوزها الى درجة اعلى وينتهي التعليم بتحصيل التلميذ على اجازة من شيوخه الذين حصل عليهم وخبروا اهليته لذلك وفي الغالب لا تعطى الاجازة الا بعد امتحانه بسماعه يدرس في الفن الذي سيجاز فيه واستمر الامر كذلك الى ان سنت نظم الشهادات والدفاتر العلمية فصار التلميذ يجرى عليه امتحان ليحصل على شهادة التطويع ثم شهادة التحصيل التي خلفتها ثم شهادة العالمية لمن زاول التعليم العالي ونجح في امتحانه في العصر الاخير

ومناهج التعليم دخل عليها التحوير والتغيير بحسب ما يتراءى لاهل كل عصر وآخرها قانون عام ١٣٥١ - ١٩٣٣ وملحقاته وآخرها ملحق عام ١٩٥٣ وهذه الملحقات لاتاخذ صفتها القانونية الا بعد صدور الاوامر العلية بها لان البرامج ضبطها قانون عام ١٣٥١ ولا ينسخه الا قانون صادر بامر علي بعد تقريره من طرف مجلس الاصلاح كما جاء في قانون ١٣٥١

واهم الاوامر العلية الواقع الحاقها بقانون ١٣٥١ الامر الذي نص على ان جامع الزيتونة كمعهد علمي مؤسسة دولية وموظفوه منظرون بامثالهم من مدرسي التعليم الثانوي والعالي واعطى للمعهد صفته الشخصية المدنية، وأمر تقسيم التعليم الى شعبتين علمية مجردة وشعبة عصرية يوضع لها منهاج خاص وقد وضع المنهاج على غرار منهاج البكلوريا بجزءيها مع علوم الشريعة

وعلى هذا الاساس كان جامع الزيتونه جامعة علمية من اقدم الجامعات له تاريخ عظيم من يوم كان تعليمه هو التعليم القومي في هذه الديار ولم يؤسس في

المملكة التونسية معهد للتعليم العالي غيره الى ان تاسست دروس الحقوق ومعهد الدراسات العليا في سنة ١٩٤٥ ومعهد الدراسة الادارية في سنة ١٩٤٨ واذا كان المعهدان الاول والثالث تونسيان فالمعد الثاني فرنسي تدرس فيه العلوم باللسان الفرنسي وتابع لجامعة فرنسية فهو خارج عن موضوعنا

وقد اسست الدولة التونسية في القرن الماضي مدرسة باردو الحربية في عهد احمد باشا الاول لتخريج القواد العسكريين وتوقف نشاطها في عهد محمد باشا باي ثم رجع لها نشاطه في عهده وفي اواخر مدة الصادق باشا باي توقف التعليم فيها واغلقت ابوابها ثم في عهد الصادق باشا باي اسس الوزير خير الدين المدرسة الصادقية تدرس فيها العلوم الرياضية واللغات الاجنبية مع العلوم الشرعية والعربية وآدابها وكان التعليم في هتين المدرستين مدرسة باردو والمدرسة الصادقية من نوع التعليم الثانوي ومنهاج التعليم فيهما بالنسبة لعلوم الشريعة واللغة مستمد من منهاج جامع الزيتونة والكتب التي تدرس فيهما هي الكتب التي تدرس في مرحلة من مراحل التعليم بجامع الزيتونة والمدرسون الذين يقومون بالتدريس في المعهدين من مدرسي جامع الزيتونة عدى من يقوم بتدريس العلوم الرياضية والفنون العسكرية واللغات الاجنبية فالتعليم الزيتوني هو التعليم القومي بهذه الربوع التونسية

وفكرة تاسيس مدرسة باردو والمدرسة الصادقية انبعثت واوحت بها حاجة المملكة الى علماء في الميدان العسكري واصناف من علماء الطب والهندسة والطبيعة بما كان مفقودا في المملكة فتحتم ارسال ارساليات من شباب الامة الى اروبا ليتخرجوا في معاهدها وبحكم الضرورة لزم تحضيرهم ليتسنى لهم الانخراط في سلك معاهدها فتاسست المدرسة الصادقية لتحضير التلامذة للالتحاق بتلك المعاهد . فالتعليم فيهما كان مساندا للتعليم الزيتوني ولم يتخذ ضرارا له

واما غير ذلك فيقوم به التعليم الزيتوني فهو الذي يخرج الطبقات التي تقوم بمهام الدولة الادارية والقضائية وسائر المصالح والمؤسسات العمومية والخاصة الى عهد نصب الحماية وكان رجال جامع الزيتونة المسؤولون يشعرون بواجبهم

الديني القومي فحافظوا على الامانة الثقيلة التي حباهم بها الله تعالى و كانت لهم المرونة الكافية للتخليص من حبائل الاستعمار التي كانت تنصب للقضاء على اخص مقومات الامة فكان جامع الزيتونة الرباط الحصين الباقي للامة تتحصن فيه لتصد غارات المغيرين والملجأ الذي تلجأ اليه ومنه تستمد المدد لتجابه الاخطار في كل حين والمعقل الذي صمد ايام الاعاصير والعلم الشامخ الذي لم تطأه النعال فكان حرزا منيعا للدين واللغة اللذين هما اخص مقومات الامة وحجر الزاوية التي يقام عليه صرح مجدها وعزها

وهكذا كان جامع الزيتونة في كل العصور هو الحلقة التي تربط المستقبل بالماضي منذ نشأته الى يوم الناس هذا وقد مرت على هذه المملكة حوادث عظام وتقلبت اطوارها ونالها ما ينال الامم من ويلات وشدائد حتى اذا ما انجلت السحب وغيض السيل وجد الجد وجدت الامة في جامع الزيتونة ما يجدد كيانها وتقيم به حياتها الجديدة وقبس النور الذي هداها عندما ادلهمت في وجهها الخطوب وكاد الياس يستولى على مشاعرها فيتركها فريسة تنتهش وتردى بلا رجعة والى غير عودة الى الحياة ومن ثم كان تعلق الامة به شديدا وشديدا جدا لانها تعلم ان كل شيء من مظاهر الحياة يزول كما زالت امثاله في العصور الماضية ويبقى جامع الزيتونة يحفظ على الامة اعز شيء لديها واسمى مقوماتها التي تحفظ لها ذاتيتها ومن ثم ايضا كانت عناية اولئك المسؤولين عظيمة فلم يتركوا فرصة تمر من غير ان ينتهزوها لتدعيم هذا الطرح العظيم ومنذ ان احس اصحاب العزائم الصادقة ان المستقبل لهذة الامه النابهة وان وعيها القومي قوي وسيهيئها لاسترجاع سلطانها اخذوا يعدون العدة ويدخلون على جامع الزيتونة التحويرات والاصلاحات الى ان صيروا التعليم الزيتوني مسايرا لروح العصر ونظمت شعبه وتنوعت افانينه وبسقت فروعه حتى اذا حكمت الامة في نفسها وتسلمت مقاليد السلطة بيدها وجدت جامع الزيتونة هيأ لها الشباب العربي المتعلم بالعربية على احدث الطرق ليقوم بواجبه نحو الوطن فيسد الشغور ويعرب الدولة ويضطلع بالمسؤوليات وتجد في خيرة شبابها من تمم ثقافته باللغة العربية في

معاهد الشرق وتجد من يتولى تعريب المدارس في اسرع وقت من غير ان يختل نظامها او يحدث تبلبل واضطراب

وبصنيعهم هذا مهدوا السبل ليكون التعليم الزيتوني هو التعليم القومي في هذا العصر الجديد كما كان في العصور السابقة وهو بتطوره واحياء العلوم الكونية فيه وتجديد دراستها ومراعاة الاساليب الحديثة وتوسيع دائرة التعليم العالي فيه خليق بعدم مزاحمته بما هو من نوعه

فكلية الشريعة وكلية الحقوق وكلية الآداب وكلية العلوم يلزم ان تتكون منها الجامعة الزيتونية وبذلك نكون قد وحدنا سير التعليم بهذه البلاد وانبتنا نباتا صالحا نرجو من الله تعالى ان يكلاه فيعطي للامة غذاء نقيا طيبا يقيها شر المسغبة وسوء التخمة

ونتجنب بذلك مغبة التفريط وسوء المنقلب والاخطاء التي دلت عليها العبر في الشرق لما احدثوا الجامعات الجديدة فبعضها قضى على الاصل وبعضها تعثر وحصلت البلبلة الغير المحمودة بما نحن في غنية عن حدوثه في وطننا

فما دمنا متفقين على تعريب التعليم في جميع مراحله الابتدائي والثانوي والعالي وما دمنا نريده تعليما اسلاميا نتسلح به لحماية عقيدتنا واخلاقنا وما دمنا نرمي الى السمو بالمعارف التي نلقنها لشبابنا وما دمنا نعمل على المحافظة على مركز الجامعة الزيتونية السامي فالمنطق يحتم علينا ان ننهض بها ونوسع دائرتها ونضم اليها ما تحتاج اليه من الكليات التي تدخل في دائرتها واسم الزيتونه ذو التاريخ المجيد هو عنوان على التعليم العربي الاسلامي عندنا ولله در الرئيس الجليل الزعيم الاكبر الاستاذ الحبيب بورقيبه في قوله لي انني زيتوني فقد تلقيت علوم الشريعة والعربية عن شيوخي الزيتونيين وليس الامر مخصوصا بالمكان وانما هو بالعلم فلا فوارق ولا مميزات ، فالتمسك به والمحافظة على منزلته السامية امر واجب وليتنبه من غفل عن المهمات التي قام ويقوم بها حتى يجس في قرارة نفسه ويشعر شعورا قويا وانه لا ينبغي وضعه في محك التجارب الخطيرة التي ربما تفضي الى نتائج سيئة وعند ذاك يحصل الندم ولات ساعة مندم ولا تقدر على تدارك الامر بعد الفوات

محمد الشاذلي بن القاضي



(وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ)
(عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي)
(بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ)

لحضرة الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر
ابن عاشور شيخ الجامع الاعظم وفروعه

معطوف على قوله ❀ قال اني اعلم ما لا تعلمون ❀ عطف حكاية الدليل التفصيلي على حكاية الاستدلال الاجمالي الذي اقتضاه قوله ❀ اني اعلم ما لا تعلمون ❀ فان تعليم آدم الاسماء واظهار فضيلته بقبوله لهذا التعليم دون الملائكة جعله الله حجة على قوله لهم ❀ اني اعلم ما لا تعلمون ❀ من جدارة هذا النوع بالخلافة في الارض. وعطف ذكر آدم بعد ذكر مقالة الله للملائكة وذكر محاورتهم يدل على ان هذا الخليفة هو آدم وان آدم اسم لذلك الخليفة وهذا الاسلوب من بديع الاجمال والتفصيل والايجاز كما قال النابغة :

فقلت لهم لا اعرفن عقائلا ... رعابيب من جنبي اريك وعاقل

الابيات ثم قال بعدها :

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ... على وعل في ذي المطارة عاقل
مخافة عمرو ان تكون جياده ... يقدن الينا بين حاف وناعل

فدل على ان ما ذكره سالفا من العقايل التي بين اريك وعاقل ومن الانعام المغتنمة هو ما يتوقع من غزو عمرو بن الحرث الغساني ديار بني عوف من قومه. وآدم اسم الانسان الاول ابو البشر في لغة العرب وقيل منقول من العبرانية لان أداما بالعبرانية بمعنى الارض وهو قريب لان التوراة تكلمت على خلق آدم

واطالت في احواله فلا يبعد ان يكون اسم ابي البشر قد اشتهر عند العرب من اليهود وسماع حكايتهم ويجوز ان يكون هذا الاسم عرف عندالعرب والعبرانيين معا من اصل اللغات السامية واتفقت عليه فروعها . وللانسان الاول اسماء اخر في لغات الامم فقد سماه الفرس القدماء « كيومرت » بفتح الكاف في اوله وبتاء مثناة في آخره ، ويسمى ايضا « كيامرتن » بالف عوض الواو وبكسر الراء وبنون بعد المثناة الفوقية، قالوا انه مكث في الجنة ثلاثة آلاف سنة ثم هبط الى الارض فعاش في الارض ثلاثة آلاف سنة اخرى . واسمه في العبرانية آدم كما يسمى في التورات وانتقل هذا الاسم الى اللغات الافرنجية من كتب الديانة المسيحية فسموه آدام باشباع الدال، وءادم على وزن فاعل بفتح العين صيغ كذلك اعتباطا وهو الذي يشير اليه صاحب الكشاف وجعل محاولة اشتقاقه كمحاولة اشتقاق يعقوب من العقب وابليس من الابلاس ونحو ذلك وهو الصواب

وقال الجوهري اصله أأدم على وزن افعل من الادمة وهي لون السمرة فقلبت ثانية الهمزتين مدة ولعل اشتقاق اسم لون الادمة من آدم اقرب من العكس

الاسماء جمع اسم هو في اللغة ما يدل على معنى يبلغه للذهن فيختص بالالفاظ سواء كان مدلولها ذاتا او صفة ذات أو فعلا مركبا او مفردا وذلك هو معناه عرفا اذ لم يقع فيه نقل فما قيل ان الاسم يطلق على ما يدل على الشيء سواء كان من لفظه او صفته او فعله ، توهم في اللغة ولعلهم تطوحوا به الى ان اشتقاقه من السمة وهي العلامة وذلك على تسليمه لا يقتضي ان يبقى مساويا لاصل اشتقاقه

وقد قيل هو مشتق من السمو لانه لما دل على الذات فقد ابرزها

وقيل مشتق من الوسم لانه سمة على المدلول والاظهر انه مشتق من السمو وان وزنه سمو بكسر السين وسكون الميم لانه جمع على اسماء ولو لا ان اصله سمو لما كان وجه لزيادة الهمزة في آخره فانها مبدلة عن الواو في الطرف اثر الف زائدة ولكانوا جمعوه على اوسام

والتعريف في الاسماء تعريف الجنس اريد منه الاستغراق للدلالة على انه علمه جميع الاسماء للمسميات الموجودة يومئذ فهو استغراق عرفي مثل جمع الامير الصاغة اي صاغة ارضه وهو الظاهر لانه المقدار الذي تظهر به الفضلة فما زاد عليه لا يليق بالحكمة تعليمه ، ويجوز ان يكون استغراقا لجميع الاسماء

فيكون قد علمه الله تعالى الاسماء كلها سواء وجدت مسمياتها ام لم توجد وقدرة الله صالحة لذلك

وقوله (كلها) تاكيد لمعنى الاستغراق لئلا يتوهم منه العهد فلم تزد كل هذا العموم شمولا ولكنها دفعت عنه الاحتمال

وكل اسم دال على الشمول والاحاطة فيما اضيف هو اليه واكثر ماتجيء مضافة الى ضمير ما قبلها فتعرب توكيدا لما قبلها . وتكون ايضا مستقلة بالاعراب اذا لم يقصد التوكيد بل قصدت الاحاطة . وهي ملازمة للاضافة لفظا او تقديرا فاذا لم يذكر المضاف اليه عوض عنه التنوين ولكونها ملازمة للاضافة تعتبر معرفة بالاضافة فلا تدخل عليها لام التعريف .

وتعليم الله آدم الاسماء اما بطريق التلقين بعرض المسمى عليه فاذا رآه لقن اسمه بصوت يسمعه فعلم ان ذلك اللفظ دال على تلك الذات بعلم ضروري . او يكون التعليم بالقاء علم ضروري فيه يخطر بسببه في ذهنه اسم شيء عندما يعرض (بضم الياء) عليه فيضع له اسما بان الهمه وضع الاسماء للاشياء ليمكنه ان يفيدها غيره وذلك بان خلق قوة النطق فيه وجعله قادرا على وضع اللغة. وجميع ذلك تعليم اذ التعليم مصدر علمه اذا جعله ذا علم مثل ادبه فلا ينحصر في التلقين وان تبادر فيه عرفا. وايا ما كانت كيفية التعليم فقد كان سببا لتفضيل الانسان على بقية انواع جنسه بقوة النطق واحداث الموضوعات اللغوية للتعبير عما في الضمير وكان ذلك ايضا سببا لتفاضل افراد الانسان بعضهم على بعض بما ينشا عن النطق من استفادة المجهول من المعلوم وهو مبدا العلوم، فالانسان لما خلق ناطقا عما في ضميره فقد خلق مدركا اي عالما وقد خلق معلما وهذا اصل نشاة العلوم والقوانين وتفاريعها لانك اذا نظرت الى المعارف كلها وجدتها وضع اسماء لمسميات وتعريف معاني تلك الاسماء وتحديدها لتسهيل ايصال ما يحصل في الذهن الى ذهن الغير، وكلا الامرين قد حرمه بقية انواع الحيوان فلذلك لم تتفاضل أفراده الا تفاضلا ضعيفا بحسب الصورة او قوة المنفعة او قلة العجمة فضلا عن بقية الاجناس كالنبات والمعدن

وبهذا تعلم ان العبرة في تعليم الله تعالى آدم الاسماء حاصلة سواء كان الذي علمه اياه اسماء الموجودات يومئذ او اسماء كل ما سيوجد وسواء كان ذلك بلغة واحدة هي التي ابتدأ بها نطق البشر منذ ذلك التعليم ام كان بجميع اللغات

التي ستنطق بها ذرياته من الامم ، وسواء كانت الاسماء اسماء الذوات فقط او اسماء المعاني والصفات ، وسواء كان المراد من الاسماء الالفاظ الدالة على المعاني او كل دال على شيء لفظا كان او غيره من خصائص الاشياء وصفاتها وافعالها كما تقدم

ولعل كثيرا من المفسرين قد هان عندهم ان يكون تفضيل آدم بالتعليم متعلقا بمعرفة عدد من الالفاظ الدالة على المعاني الموجودة فراموا تعظيم هاته المزية بتهويلها بما استطاعوا من التكلفات. وغفلوا عن موقع العبرة وملاك الفضيلة وهو ايجاد هاته القوة العظيمة التي كان اولها تعليم تلك الاسماء ولذلك كان اظهار عجز الملائكة لحوق هذا الشاو بعدم تعليمهم لشيء من الاسماء ولو كانت المزية والتفاضل في تعليم آدم جميع ما سيكون من الاسماء في اللغات لكفى في اظهار عجز الملائكة عن عدم تعليمهم لجمهرة الاسماء وانما علم آدم اسماء الموجودات يومئذ كلها ليكون انباؤه الملائكة ابهر لهم في فضيلته

وليس في هذه الآية دليل على ان اللغات توقيفية اي لقنها الله تعالى البشر على لسان آدم ولا على عدمه لان طريقة التعليم في قوله تعالى ❊ وعلم آدم الاسماء ❊ مجملة محتملة لكيفيات كما قدمناه والناس متفقون على ان القدرة عليها الهام من الله تعالى وذلك تعليم منه سواء لقن آدم لغة واحدة او جميع لغات البشر واسماء كل شيء او الهمه ذلك او خلق له القوة الناطقة والمسالة مفروضة في علم اللغة وفي اصول الفقه ولا اثر لهذا الاختلاف لا في الفقه ولا في غيره قال المازري الا في جواز قلب اللغات والحق ان قلب الالفاظ الشرعيه حرام وغيره جائز

ولقد اصاب المازري واخطا كل من رام ان يجعل لهذا الخلاف ثمرة غير ما ذكره وفي استقراء ذلك ورده طول

وقوله ❊ ثم عرضهم على الملائكة ❊ قيل عطفه بثم لان بين ابتداء التعليم وبين العرض مهلة وهي مدة تلقين الاسماء لآدم او مدة الهامه وضع الاسماء للمسميات والاظهر ان ثم هنا للمهلة الرتبية كشانها في عطفها الجمل لان رتبة هذا العرض وظهور عدم علم الملائكة وظهور علم آدم وظهور اثر علم الله وحكمته كل ذلك ارفع رتبة في اظهار مزية آدم واستحقاقه الخلافة ، من رتبة مجرد تعليمه الاسماء لو بقي غير متصل به ما حدث من الحادثة كلها

ولما كان مفهوم لفظ اسم من المفهومات الاضافية التي يتوقف تعقلها على تعقل غيرها اذ الاسم لا يكون الا لمسمى كان ذكر الاسماء مشعرا لا محالة بالمسميات فجاز للبليغ ان يعتمد على ذلك ويحذف لفظ المسميات ايجازا

وضمير عرضهم للمسميات لانها التي تعرض بقرينة قوله انبئوني باسماء هؤلاء فهذا من ايجاز الحذف واما الاسماء فلا تعرض لان العرض اظهار الذات بعد خفائها ومنه عرض الشيء للبيع ويوم العرض والالفاظ لا تظهر فتعين ان المعروض مدلولات الاسماء اما بان تعرض الذوات للسؤال عن معرفة اسمائها اي الالفاظ الدالة عليها او عن بيان مواهيها وخصائصها ، واما بأن تعرض الذوات والمعاني بخلق اشكال دالة على المعاني كعرض الشجاعة في صورة جعل صاحبها والعلم في صورة افاضة العالم بحيث يجد الملائكة عند مشاهدة تلك الهيئة ان المعروض علم كما يمثل ذلك في المرائي النومية وكما يمثل المصورون الحقائق الاعتبارية وكما ورد في الحديث يؤتي بالموت بعد الحساب في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار فيعلم الناس انه لا موت لان الحالة المذكورة في الآية حالة علم وهي اوسع من عالم المحسوسات والمادة

واعادة ضمير المذكر العاقل على الاسماء في قوله عرضهم للتغليب لان اشرف المعروضات ذوات العقلاء وصفاتهم على ان وروده بصيغة العقلاء طريقة عربية نحو قوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا ، والداعي لهذا التغيير في الاسلوب ان يعلم ابتداء ان المعروض غير الاسماء حتى لا يضل فهم السامع قبل سماع قرينة انبئوني باسماء هولاء ؛ وقد قرا ابن مسعود عرضهن وقرا ابي عرضها جريا على الغالب

وقوله تعالى﴿فقال انبئوني﴾تفريع على العرض وقرن بالفاء لانه ابتداء محاورة والامر في قوله انبئوني للتعجيز بقرينة كون المامور يعلم ان الآمر عالم بذلك فليس هذا من التكليف بالمحال كما لبعض المفسرين واستعمال صيغة الامر في التعجيز مجاز ثم ان ذلك المعنى المجازي يستلزم علم الآمر بالمامور به.والانباء اخبار بالنبا

وهو الخبر والفائدة العظيمة الاهمية بحيث يحرص السامعون على اكتسابه ولذلك تضمن الانباء معنى الاعلام لان المخبر به يعد مما يعلم ويعتقد بوجه اخص من اعتقاد مطلق الخبر فهو اخص من الخبر

وقوله ان كنتم صادقين اما اراد به ان كنتم صادقين في انكم افضل من هذا المخلوق ان كان قولهم ونحن نسبح بحمدك الخ تعريضا بانهم احق بذلك . او اراد ان كنتم صادقين في عدم جدارة آدم بالخلافة كما دل عليه قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ان كان قولهم ونحن نسبح بحمدك لمجرد التفويض او الاعلان للسامعين من اهل الملا الاعلى بانبراءة من شائبة الاعتراض على ما اخترناه

ووجه الملازمة بين الانباء بالاسماء وبين الصدق فيما ادعوه ان العلم بالاسماء عبارة عن القوة الناطقة الصالحة لاستفادة المعارف وافادتها او عبارة عن معرفة حقائق الاشياء وخصائصها او عبارة عن معرفة اسماء الذوات والمعاني وكل ذلك يستلزم ثبوت العالمية بالفعل او بالقوة وصاحب هذا الوصف هو الجدير بالاستخلاف في العالم لان وظيفة هذا الاستخلاف تدبير وارشاد وهدي ووضع الاشياء مواضعها دون احتياج الى توقيف في غالب التصرفات وكل ذلك محتاج للقوة الناطقة او لفروعها

والقوى الملكية على شرفها انما تصلح لاعمال معينة قد سخرت لها لا تعدوها ولا تتصرف فيها فالتحليل والتركيب وما يذكر من تنوع تصرفها وصواب اعمالها انما هو من توجيه الله تعالى اليها وتلقينها المعبر عنه بالتسخير وبذلك ظهر وجه ارتباط الامر بالانباء بهذا الشرط وقد تحير فيه كثير

واذا انتفى الانباء انتفى كونهم صادقين في انكار خلافة آدم فان كان محل الصدق هو دعواهم انهم اجدر فقد ثبت عدمها وان كان محل التصديق هو دعواهم ان البشر غير صالح للاستخلاف فانتفاء الانباء لا يدل على انتفاء دعواهم ولكنه تمهيد له لان بعده انباء آدم بالاسماء لان المقام مؤذن بانهم لما امروا امر تعجيز وجعل المامور به دلالة على الصدق ان وراء ذلك انباء آخر مترقبا من الذي طعنوا في جدراته ويدل لذلك ايضا قوله تعالى لهم اني اعلم ما لا تعلمون

فصل الدين عن الحكومة

(٢)

لحضرة العلامه صاحب الفضيلة الشيخ
محمد البشير النيفر المفتي المالكي

فوائد الوصل بين الحكومة والدين

علم من صفوة ما مضى على وجازته ان الحكومة الاسلامية على ما يقتضيه الكتاب والسنة وجرى عليه امر المسلمين سلفا وخلفا حكومة ترتبط بالدين كال الارتباط والتلازم بينهما كالتلازم بين الصورة وظلها ، ولا يحاول ان يفرق بينهما الا الذين يقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وعلم تاريخ مولد هذه الفكرة وكيف نفذت في احدى الحكومات الاسلامية بمكر من بعض كبر الدول المعروفة بالكيد للاسلام والمسلمين واتينا على بعض مظاهر هذا الفصل الشنيعة واليوم ناتي على اهم فوائد الابقاء على الصلة بينهما بعد ان علمنا ان الاحتفاظ بها احتفاظ بما يعد من جوهر الدين وان اضاعتها اضاعة للدين وردة عنه

الفائدة الاولى من فوائد الوصل بين الحكومة والدين

(١) ان في الدين وفاء بالسياسة الرشيدة التي لم يوجد ولن يوجد مثلها في قانون وضعي ولو في امة تعد في مقدمة الامم المتحضرة المتمدنة ويشهد بهذا حكماء الافرنج انفسهم والحق ما شهدوا به وستمر بنا بعض شهاداتهم قريبا

الحكومة الاسلامية تعتمد الشورى « فيما تكون الشورى فيه » فقد امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله : وشاورهم في الامر ، قال جماعة من المفسرين وذلك فيما لم ياته فيه وحي ، وفي حديث سهل بن سعد الساعدي : ما شقي قط عبد بمشورة وما سعد باستغناء راي

وقد استشار الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه

شاورهم في غزوة احد ان يقعد في المدينة «وهو رأيه صلى الله عليه وسلم» او يخرج الى العدو فكان راي جمهورهم الخروج فعمل عليه الصلاة والسلام بما رأوا . وشاورهم في غزوة الخندق في مصالحة الاحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ فأبى عليه سعد بن عبادة وسعد بن معاذ فعمل عليه الصلاة والسلام بما رايا وشاورهم يوم الحديبية في الميل على ذراري المشركين فقال له ابو بكر رضي الله عنه : انا لم نجئ لقتال وانما جئنا معتمرين فعمل عليه الصلاة والسلام بما راى ابو بكر .

واستشارهم في يوم بدر اين يكون المنزل فاشار المنذر بن عمرو بالتقدم امام القوم

وروى ابن مردوية عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه : سئل رسول الله صلى عليه وسلم عن العزم « اي في قوله تعالى : فاذا عزمت فتوكل على الله» قال مشاورة اهل الراي ثم اتباعهم

وروى الطبراني في الاوسط وابو سعيد في القضاء عن علي قال قلت يا رسول الله ان عرض لي امر لم ينزل فيه قضاء في امره ولا سنة كيف تامرني قال تجعلونه شورى بين اهل الفقه والعابدين من المؤمنين ولا تقض فيه برايك .

وعن عبد الله بن عمرو قال كتب ابو بكر الى عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور في الحرب فعليك به رواه الطبراني

وفي صحيح البخاري : وكانت الائمة بعد النبيء صلى الله عليه وسلم يستشيرون الامناء من اهل العلم في الامور المباحة لياخذوا باسهلها

واول ما تشاور الصحابة فيه الخلافة اذ لم ينص عليها الرسول صلى الله عليه وسلم . وتشاوروا في اهل الردة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقرّ الامر على قتالهم ، وتشاوروا في الجد وميراثه ، وتشاوروا في حد الخمر وعدده . وشاور عمر ابن الخطاب الهرمزان حين وفد عليه مسلماً في المغازي . وشاور «كما في الصحيحين» في دخول الشام بالجيش وقد علم ان بها الوباء وترك الدخول والقصة معروفة

وكتب الى سعد بن ابيّ وقاص وقد وجهه الى القادسية وكان له فيها بلاء حسن قد وجهت اليك او امددتك بالفي رجل عمرو بن معديكرب وطليحة بن خويلد فشاورهما في الحرب رواه الطبراني

وقال ابن خويزمندا، من اعلام رجال الفقه الاسلامي : واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون وما اشكل عليهم من امور الدين ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح العباد وعمارتها

فهذا الامام الجليل يصرح بما اقتضاه الكتاب والسنة وعمل به الصحابة من الاخذ بالشورى ويعين اهلها على حسب اختلاف المصالح

الحكومة الاسلامية تعتمد تأدية الامانات الى اهلها والحكم بين الناس بالعدل ، قال الله تعالى ، ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بينهم بالعدل

وهل علمت المراد من تادية الامانة ؟

نزلت الآية في رد مفتاح الكعبة حين اخذه النبيء صلى الله عليه وسلم من عثمان بن طلحة بن ابي طلحة الحجبي العبدري « من بني عبد الدار » ومن ابن عمه شيبة ابن عثمان بن ابي طلحة وكانا كافرين وقت فتح مكة فطلبه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه حتى يجمع له بين السدانة (١) والسقاية (٢) فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فكسر ما فيها من الاصنام ونزل عليه جبريل بهذه الآية ، قال عمر بن الخطاب وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الآية وما كنت سمعتها قبل منه فدعا عثمان وشيبة وقال خذاها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم

فالآية نزلت في رد مفتاح الكعبة الى بني شيبة ولفظ الامانات ينتظم عامة الولايات لانها امانة فتدخل الولايات في الامانات دخولا اوليا فالواجب على الحكومة الاسلامية ان تنوط كل ولاية بمن فيه الكفاءة للنهوض باعبائها والا خانت الامانة

وفي الحديث : من ولي من امر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو

---

(١) خدمة الكعبة وتولى امرها وفتح بابها واغلاقه (٢) سقاية الحاج ما كانت قريش تسقيه للحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء وكان يليها العباس رضي الله عنه في الجاهلية والاسلام

اصلح منه للمسلمين فقد خان الله ورسوله ، وفي رواية : من قلد رجلا عملا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة ارضى منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين رواه الحاكم في صحيحه وروى بعضهم انه من قول عمر لابن عمر

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لابي ذر في الامارة انها امانة رواه مسلم

وفي حديث ابي هريرة عند البخاري : اذا ضيعت الامانة انتظر الساعة قيل: يا رسول الله وما اضاعتها ؟ قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة، فيجب اسناد كل ولاية الى من يقدر على النهوض بها

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعمل خالد بن الوليد في الحرب وقال ان خالدا سيف سله الله على المشركين ، وقال لابي ذر رضي الله عنه : يا اباذراني اراك ضعيفا واني احب لك ما احب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم رواه مسلم فنهى الرسول صلى الله عليه وسلم اباذر عن تقلد الامارة لضعفه مع شهادته له بقوله : ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابي ذر

واستعمل ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد في قتال اهل الردة وفي فتوح العراق والشام

ومن هذا وامثاله اقام ائمة الفقه في الاسلام قاعدة في التقديم في الولايات وهى من القواعد المتفق عليها

قال القرافي في الذخيرة : يقدم في كل ولاية من هو اقوم بمصالح تلك الولاية ففي الحرب يقدم من هو شجاع مجرب ليسوس الجيوش وفى القضاء من هو فقيه متوفر الدين والعزم والفراسة ، وفي ولاية الايتام من هو عارف بتنمية المال ومصارفه وقد يكون المقدم في باب مؤخرا في آخر

هذه كلمة موجزة في امر الاسلام في الولايات التي ينتظمها كلمة الامانات في الآية الكريمة

اما العدل المامور به في الآية فهو العدل بين الناس كافة لا فاصل بين القوي والضعيف والمسلم وغيره .

قال الله تعالى : يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله ولو على

انفسكم او الوالدين والاقربين إن يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما

اي ان يكن الطالب او المشهود عليه غنيا لم يراع لغناه وان يكن فقيرا لم يراع اشفاقا عليه .

ويشبه هذه الآية آية المائدة : يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى

اي ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل

وقبل هذه الآية بآيات : ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا . اي ولا يحملنكم بغض قوم لاجل صدهم اياكم عن المسجد الحرام على الاعتداء عليهم وذلك ان المسلمين صدهم المشركون عن المسجد الحرام عام الحديبية فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصدهم كما صدنا اصحابهم فانزل الله هذه الآية

وكانت سيرة النبيء صلى الله عليه وسلم ومن يقتدى بهداه تمثل العدل كما امر الله به اخرج البخاري في صحيحه من طريق ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا تقاضى (١) رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغلظ (٢) له فهم (٣) به اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا فاعطوه اياه قالوا لا نجد الا افضل من سنه قال اشتروه فاعطوه اياه فان خيركم احسنكم قضاء

فهذا رجل يغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المقال إذ جاء يتقاضاه دينه « وقد قيل انه كان يهوديا » ويهم اصحابه رضي الله عنهم به ليؤذوه فينهاهم الرسول عليه الصلاة والسلام عن التعرض له ويقول لهم دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم يقضيه خيرا مما اخذ منه

وعن ابي حدرد الاسلمي انه كان ليهودى عليه اربعة دراهم ، فاستعدى (٤) عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان لي على هذا اربعة دراهم وقد غلبني عليها فقال اعطه حقه قال والذي بعثك بالحق ما اقدر عليها . قال

(١) طلب منه قضاء دينه (٢) قال قولا خشنا (٣) هموا بالبطش به (٤) استعانه واستنصره

اعطه حقه قال والذي بعثك بالحق ما اقدر عليها ، وقد اخبرته انك تبعثنا الى خيبر فارجو ان تغنمنا شيئا فارجع فاقضيه قال اعطه حقه وكان النبيء صلى الله عليه وسلم اذا قال ثلاثا لم يراجع فخرج به ابو حدرد الى السوق وعلى راسه عصابة وهو متزر ببردة فنزع العمامة عن راسه فاتزر بها ونزع البردة ثم قال اشتر مني هذه البردة فباعها منه باربعة دراهم فمرت عجوز فقالت ما لك يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرها فقالت : ها دونك هذا لبرد عليها طرحته عليه رواه الامام احمد

فانظر كيف امر النبيء صلى الله عليه وسلم صاحبه ابا حدرد ان يقضي ما عليه لليهودي ولم يعذره بعجزه حتى اضطر الى بيع بردته والاتزار بعمامته

وبلغ من ثقة بعض اهل الكتاب من اليهود والنصارى بعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وشرعه ان حكموه في قضايا

روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان قريظة والنضير وكان النظير اشرف من قريظة ، وكان اذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ودى مائة وسق (١) من تمر فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا دفعوه الينا لنقتله فقالوا بيننا وبينكم النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا نزل قوله تعالى : وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وقوله تعالى: افحكم الجاهلية يبغون

وساله وفد نصارى نجران ان يبعث معهم رجلا من اصحابه يرضاه ليحكم بينهم في امور اختلفوا فيها في اموالهم وقالوا انكم عندنا رضا

ذكر هذا اهل السير وكثير من المفسرين عند الكلام على آية المباهلة : فمن احاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية (٦٠) من آل عمران ، وفيه ثقتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وعدالة احكامهم

ويروى انه كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال

(١) الوسق ٦٠ صاعا

اليهودي انطلق بنا الى محمد وقال المنافق بل الى كعب بن الاشرف فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ووصاياه صلى الله عليه وسلم بالمعاهدين واهل الذمة والمستامنين مما ملئت به كتب السنة والسير

روى البخاري واحمد والنسائي وابن ماجة من حديث عبد الله بن عمرو: من قتل معاهدا لم يرح (١) رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة اربعين عاما . وفي حديث ابي رافع عند احمد وابي داود والنسائي والحاكم : اني لا اخيس (٢) بالعهد ولا احبس البرد

وعن صفوان بن سليم عن عدة من ابناء الصحابة عن آبائهم رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ظلم معاهدا او انتقصه او كلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فانا حجيجه يوم القيامة

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ماختر (٣) قوم بالعهد الاسلط اليه عليهم العدو اخرجه مالك بلاغا

وفي الحديث : ذمة المسلمين واحدة (٤) فان جارت عليهم جائرة فلا تخفروها فان لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة اخرجه الحكام عن عائشة

وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بن العاص عامله على مصر : واعلم يا عمرو ان الله يراك ويرى عملك فانه قال تعالى في كتابه واجعلنا للمتقين اماما يريد ان يقتدى به وان معك اهل ذمة وعهد وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واوصى بالقبط فقال استوصوا بالقبط خيرا فان لهم ذمة ورحما ورحمهم ان ام اسماعيل منهم وقد قال صلى الله عليه وسلم من

---

(١) لم يجد ريحها (٢) لا أخيس بالعهد لا انقضه والبرد جمع بريد وهو الرسول اي لا احبس الرسل (٣) الختر الغدر وقيل هو الخديعة او اقبح الغدر (٤) اي ذمة المسلمين كشيء واحد لا تختلف باختلاف المراتب والذمة ما يذم على اضاعته من عهد او امان فاذا اجار واحد من المسلمين من ليس من اهل دينه فلا تخفر ذمته أي لا ينقض عهده

ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته فانا خصمه يوم القيامة ، احذر يا عمرو ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصما فانه من خاصمه خصمه الخ .

ومن كتابه لاهل ايلياء : هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء من الامان اعطاهم امانا لانفسهم واموالهم ولكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صلبها «جمع صليب» ولا من شيء من اموالهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن بايلياء معهم احد من اليهود

وقال لما حضرته الوفاة رضي الله عنه « واوصيه » اي من يولى الخلافة بعده بذمة الله وذمة رسوله ان يوفيء لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم ، اخرجه البخاري في كتاب الجهاد في باب : هل يقاتل عن اهل الذمة ولا يسترقون

فهذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بل افضل اصحابه بعد ابي بكر وثاني الخلفاء الراشدين يعهد الى الخليفة بعده وهو محتضر ان يعامل بالحسنى من ليس من اهل دينه

وروى ابن عبد الحكم عن انس ان رجلا قبطيا من اهل مصر اتى عمر ابن الخطاب فقال يا امير المؤمنين؛عائذ بك من الظلم قال عذت معاذا قال سابقت ولد عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول : انا ابن الاكرمين فكتب عمر رضى الله عنه الى عمرو يامره بالقدوم ويقدم ابنه معه فقدم فقال عمر اين المصري ؟ خذ السوط فاضرب فجعل يضرب بالسوط وعمر يقول اضرب ابن الاكرمين ثم كان من امر عمر رضي الله عنه ان قال للقبطي: ضع السوط على صلعة عمرو فقال يا امير المؤمنين انما ابنه الذي ضربني وقد استقدت (١) منه فقال عمر لعمرو : منذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا قال يا امير المؤمنين لم اعلم ولم ياتني

ويروى انه رضي الله عنه رأى شيخا نصرانيا يسال عند باب المسجد فرق له وقال . ما انصفناك يا هذا اخذنا منك الجزية فتى واضعناك شيخا ثم فرض له في بيت المال ما يتقاضاه طيلة عمره

---

(١) استقاد من القود وهو القصاص

ومن اعجب ما يسطر في هذا الموضوع ان علي بن ابي طالب رابع الخلفاء وصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاضى هو ويهودي الى عمر فقال عمر لعلي رضي الله عنهما يا ابا الحسن قف مع خصمك فتغير وجه علي كرمه الله ولمآ فرغ من التقاضي ذكّر عمر عليا بما يجب شرعا من التسوية بين الخصوم بصرف النظر عن اديانهم فقال له علي ولكنك لم تسو بيني وبينه بل آثرتني عليه لندائك اياي بالكنية : يا ابا الحسن . اذ من سنة العرب في الكلام ان يكنوا في مقام التكريم والمقام مقام تقاض لا يؤثر فيه احد على احد لذا تغير وجه علي رضي الله عنه

وفي رسالة عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الأشعري : آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك

وصرح كثير من رجال الفقه الاسلامي بان الحاكم المسلم لا يكره اليهودي على الحضور بمجلس القضاء يوم السبت وفاء لليهود بما دخلوا عليه معنا واقررناهم عليه

وقد بلغ من امر عناية المسلمين باهل الذمة ان جيوش التتار لما هجمت على بلاد المسلمين من حدود الصين الى الشام واسروا من اسروا من المسلمين والنصارى ثم هزمهم المسلمون كتب الشيخ ابن تيمية من كبار ايمة الحنابلة في عصره الى ملك التتار يومئذ « قطلوب شاه » في شان تسريح الاسرى فاطلق المسلمين دون اهل الذمة فكتب اليه الشيخ ابن تيمية : « لا بد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم اهل ذمتنا ولا ندع اسيرا لا من اهل الملة ولا من اهل الذمة فامر باطلاقهم

لليهود والنصارى أن يتحاكموا فيما بينهم الى من شاؤا

ومع ما وصىّ به الاسلام من العدل فيهم وعهد به الى رسوله صلى الله عليه وسلم والينا وفق ما جاء به الكتاب الحكيم فان لهم ان يتحاكموا في النكاح والطلاق والديون وسائر المعاملات فيما بينهم الى من شاؤا وليس للوالي المسلم ان يجبرهم على التحاكم الينا

ومن احسن الكلم في هذا قول القرطبي في تفسيره : واما الحكم فيما يختص به دينهم من الطلاق والزنى وغيره فليس يلزمهم ان يتدينوا بديننا وفي الحكم بينهم اضرار بحكامهم وتغيير ملتهم اهـ

بل لو تحاكموا الينا فيها لم يجب على الحاكم المسلم ان يتناولها بالنظر وله ان يصرفهم الى حكامهم لقوله تعالى : فإن جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم

وذهب مالك رحمه الله الى ان اهل الكتاب لا يقام عليهم حد الزنى فلو زنى مسلم بكتابية حدّ المسلم وتركت الكتابية ، ولو زنى الذميان فلا حد عليهما وهو مذهب ابي حنيفة ومحمد ابن الحسن وغيرهما

الحكومة الاسلامية تعتمد طاعة أولي الامر في المعروف خاصة

امر الله تعالى بطاعة اولي الامر في قوله : يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ، وبين الرسول ما تجب فيه الطاعة بقوله : انما الطاعة في المعروف رواه أحمد وابو داود والنسائي وقوله : لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق رواه أحمد

وفي آية المبايعة في سورة الممتحنة : ولا يعصينك في معروف

ومن خطبة ابي بكر رضي الله عنه لما ولي الخلافة : اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم

وطاعة اولي الامر في المعروف طاعة لله ولرسوله لا لاشخاص اولي الامر بل طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة لله ، قال الله تعالى : من يطع الرسول فقد اطاع الله فلا غضاضة على احد ان يطيع احدا من اولي الامر لانه انما اطاع الله لا بشرا مثله

طاعة أولي الامر «في المعروف خاصة» تفتح باب مراجعة اولي الامر والنصح لهم

خطب امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ، ألا لا تغالوا في صدقات (١) نسائكم فانها لو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان

(١) مهور

اولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق قط امراة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت : يا عمر يعطينا الله وتحرمنا اليس الله يقول : وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ❁ قال عمر اصابت امرأة وأخطأ عمر وفي رواية فاطرق عمر ثم قال كل الناس افقه منك يا عمر وفي رواية : امراة اصابت ورجل اخطأ والله المستعان وترك الانكار

والمعتبر بهذه القصة يتبين له منها ان لطاعة اولي الامر في الاسلام حدا محدودا وان باب المراجعة فيما يامرون به مفتوح على مصراعيه

وفي الحديث من طريق ابي هريرة : ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان تناصحوا من ولاه الله امركم رواه مسلم وأحمد

وفي حديث جابر : اذا رايت امتي تهاب الظالم ان تقول له انك ظالم فقد تودع (١) منهم رواه احمد والترمذي وغيرهما

الحكومة الاسلامية تنظر في كل شيء نظر السداد والحكمة

علمت ان الحكومة الاسلامية تعتمد الشورى وتوسيد الامور الى اهلها والعدل بين الناس بدون تمييز وطاعة أولي الامر في دائرة المعروف مع فتح باب مراجعتهم والنصيحة لهم وهي « الى هذا » لم تترك امر السياسة الخارجية في صلتها مع الدول التي لا تدين بالاسلام ولا النظر في المسائل الحربية والمسائل المالية ولا في شيء مما له صلة بمصالح الناس العامة والفردية وحفظ النظام وكل ذلك قائم على قواعد العدل والرحمة (٢) يعلم هذا من تصفح الكتاب والسنة وما قرره

(١) بضم اوله وثانيه وتشديد ثالثه مكسورا فسر باستواء وجودهم وعدمهم

(١) مما يتجلى فيه العدل والرحمة كال التجلي ما قرره الاسلام من الاحكام في الحرب قال الله تعالى : وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ، ونهى النبيء صلى الله عليه وسلم عن قتل الشيخ الكبير والطفل الصغير والمراة والراهب وعن المثلة ففي الحديث : لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امراة رواه ابو داود ، وفي آخر : ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا اصحاب الصوامع ، وانكر النبي صلى الله عليه وسلم على بلال ان يمر بصفية وابنة عم لها على قتلى قومهما اليهود بعد انتهاء غزوة قريظة فصكت ابنة عمها وجهها وحثت عليه التراب وهي تصيح وتبكي فقال صلى الله عليه وسلم : انزعت الرحمة من قلبك حتى مررت بالمراتين على قتلاهما

رجال التشريع الاسلامي سلفا وخلفا جزاهم الله افضل ما جزى به من نصح لله ولرسوله ولأيمة المسلمين وعامتهم وقد ذكروا ان من القواعد التي بني عليها الفقه الاسلامي /١ ان الضرر يزال /٢ وان المشقة تجلب التيسير /٣ وان العادة محكمة وتشريع ينبى على امثال هذه القواعد ارقى تشريع وأكمله (١)

وفي المذاهب المعتمدة وفاء بمطالب الناس وزيادة على اختلاف العصور وتطور الاحوال فالفقه الاسلامي في مجموعه لا يضيق بأمر من الامور في عصر من العصور

شهادة حكماء الافرنج وساستهم لشريعة الاسلام الحكيمة

شهد غير واحد من حكماء الافرنج وساستهم بان الشرع الاسلامي خير من القوانين الوضعية

١) قال اللورد كتشنر المعتمد البريطاني بمصر للسيد عبد الحميد الزهراوي احد اعضاء مجلس الاعيان العثماني بحضرة العلامة الشيخ السيد رشيد رضا وهو يومئذ نزيل مصر قال له ما ياتي بالعربية :

ان الدولة العثمانية لا تصلح بالقوانين التي تقتبسها منا معشر الاوربيين ونحن ما صلحت لنا هذه القوانين الا بعد تربية تدريجية في عدة قرون كنا نغير فيها ونبدل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لعقائدكم ولاحوالكم الاجتماعية فالواجب على الدولة ان تعمل بها وتترك قوانين اوربة فتقيم العدل وتحفظ الامن وتستغل بلادها الخصبة وعندي انها لا تصلح بغير هذا اهـ. من ص ١٣١ - ١٣٢ من رسالة الخلافة او الامامة العظمى لشيخ السيد رشيد وقد قال اللورد هذه الكلمة وللدولة العثمانية يؤمئذ رعايا من اليهود والنصارى

٢) وقال واشنطون ايرفنج : القرآن فيه قوانين زكية سنية

٣)وقال جيبون : القرآن مسلم به من حدود الاقيانوس الاتلنتيكي الى نهر

---

(١) من أمثال هذه القواعد المقتبسة من النصوص الشريعة يتبين أن الشريعة صالحة لكل زمان ومكان وانها تجاري التطورات فكل ضرر يلحق الفرد او المجتمع يزال وكل مشقة معتبرة توجب التيسير على الناس، والعادات معتبرة وتختلف الاحكام باختلافها ، واساس القانون الروماني عادات عرفت في مدينة روما واساس القانون الانكليزي عادات السكسون والنورمان الذين فتحوا بلاد انكلترة

الجانجس بانه الدستور الاساسي ليس لاصول الدين فقط بل للاحكام الجنائية والمدنية وللشرائع التي عليها مدار نظام حياة النوع الانساني وترتيب شؤونه

٤) وقال ايضا : ان الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا في احكامها من أعظم ملك الى اقل صعلوك وهي شريعة حيكت باحكم واعلم منوال شرعي لا يوجد مثله قط في العالمين

٥) ومما قاله داود او كوهارت في الاسلام : وليس فيه كهنوتية او معابد سياسية بل فيه دستور الامم ونظام الملك

الفائدة الثانية من فوائد الوصل بين الحكومة والدين

للدين سلطان على النفوس يظهر اثره الصالح في فعل الخيرات واجتناب الشرور سرا وجهرا وفق اوامره ونواهيه ولا يخلف هذا التأثير رجاء الثواب في الدنيا وخوف العقوبة فيها

ذلك ان الاعتقاد بالبعث والجزاء وهما من اركان الدين اعتقادا صحيحا يثمر من مراقبة الله ما يحمل على فعل الخيرات واجتناب الشرور ولو كان للنفس ما لها من هوى وميل ، ولو لا هذا الاعتقاد لما كان من الخلفاء الراشدين ومن اقتبس من نورهم من الاولين والآخرين ما مر بك طرف منه في الحكم بين الناس بالعدل والوصية به

يوصي عمر بن الخطاب رضي الله عنه باهل الذمة وقد بلغت الروح الحلقوم ويستقدم ولد عمرو بن العاص ليقتص منه للغلام القبطي ويفرض جراية في بيت المال للنصراني الفقير العاجز ويكتب الى عمرو بن العاص يوصيه خيرا بمن ليس من اهل دينه ويكتب الى اهل ايلياء بما اثبتناه قريبا فما الذي كان يدعو الى هذا كله ؟

لم يكن يدعوه الى شيء منه الا الدين وتعاليمه القيمة الصالحة الحكيمة وقد كان رضي الله عنه وقدس روحه الطاهرة ذا دين سابغ

---

(٥) هذه الشهادة والثلاثة قبلها منقولة عن كتاب : الاسلام روح المدنية للعلامة الشيخ مصطفى الغلاييني قاضي بيروت سابقا رحمة الله

واعتبر بقوله رضي الله عنه في كتابه الى عمرو بن العاص : واعلم ياعمرو ان الله يراك ويرى عملك،وقوله : واعلم ان معك اهل ذمة وعهد وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم.وقوله وقد قال صلى الله عليه وسلم من ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته الخ اعتبر بهذا كله تران الدين رائده رضى الله عنه

وليس لغير الدين مثل هذا التاثير ولا قريب منه ومن يرزء بعاطفة الدين يرزء بامثال هذه الآثار المباركة

كلمات لبعض الحكماء في فعل الدين واثره

كلام الحكيم ابن خلدون

جعل حكيمنا الاجتماعي الفيلسوف ابن خلدون رحمه الله موضوع الفصل الخامس من الفصل الثالث من الكتاب الاول من مقدمة تاريخه جعل موضوعه ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في إهلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها ومما جاء في هذا الفصل ان سبب ما ذكره « ان الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في اهل العصبية وتفرد الوجهة الى الحق فاذا حصل لهم الاستبصار في امرهم لم يقف بهم شيء لان الوجهة واحدة والمطلوب متساو عندهم وهم مستميتون عليه ، واهل الدولة التي هم طالبوها وان كانوا اضعافهم فاغراضهم متباينة بالباطل ، وتخاذلهم لتقية الموت حاصل فلا يقاومونهم وان كانوا اكثر منهم بل يغلبون عليهم ويعاجلهم الفناء بما فيهم من الترف والذل كما قدمناه،وهذا كما وقع للعرب صدر الاسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعة وثلاثين الفا في كل معسكر وجموع فارس مائة وعشرين الفا بالقادسية وجموع هرقل على ما قاله الواقدي اربعمائة الف فلم يقف للعرب احد من الجانبين وهزموهم وغلبوهم على ما بايديهم

واعتبر ذلك ايضا في دولة لمتونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقاومهم في العدد والعصبية او يشف عليهم الا ان الاجتماع الديني

ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستماتة كما قلناه فلم يقف لهم شيء

واعتبر ذلك اذا حالت صبغة الدين وفسدت كيف ينتقض الامر ويصير الغلب على نسبة العصبية وحدها دون زيادة الدين فتغلب الدولة من كان تحت يدها من العصايب المكافئة لها او الزائدة القوة عليها الذين غلبتهم بمضاعفة الدين لقوتها ولو كانوا اكثر عصبية منها او اشد بداوة » اهـ المقصود من كلامه

كلمة السياسي الفرنسي ليون روش

كتب هذا الفرنسي السياسي العظيم كتابا عنوانه : ثلاثون عاما في الاسلام وكان اقام في بعض البلاد الاسلامية ثلاثين حولا تعلم فيها العربية ودرس علوم الاسلام وعاشر المسلمين بصورة انه واحد منهم في الحجاز والجزائروتونس وغيرها وكلمته هذه عربتها جريدة اللواء المصرية ونشرتها في احد اعدادها وعنها نقلها المرحوم العلامة الشيخ مصطفى الغلاييني في كتابه الاسلام روح المدنية وهي تتضمن رايه في الاسلام واثر الدين الصالح في المتمسكين به قال السياسي الفرنسي:

اعتنقت دين الاسلام زمنا طويلا عند الامير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسة وقد نجحت في الحيلة فوثق بي الامير وثوقا تاما واتخذني سكرتيرا فوجدت هذا الدين الذي يعيبه الكثيرون افضل دين عرفته فهو دين انساني طبيعي اقتصادي ادبي ولم اذكر شيئا من قوانيننا الوضعية الا وجدته مشروعا فيه بل اني عدت الى الشريعة التي يسميها جول سيمون الشريعة الطبيعية فوجدتها كانها اخذت عن الشريعة الاسلامية ثم بحثت عن تاثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب ، فالمسلم بسيط لا يظن باحد سوءا ثم هو لا يستحيل محرما في طلب الرزق ولذلك كان اقل مالا من الاسرائيليين وبعض المسيحيين

ولقد وجدت فيه حل المسالتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا

الاولى في قول القرآن إنما المؤمنون اخوة فهذا اجمل مبادىء الاشتراكية والثانية فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق اخذها غصبا ان امتنع الاغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية اهـ ثم قال بعد كلام له ما نصه:

وذلك من تأثير هذا الدين الكريم ، انه دين المحامد والفضائل ولو انه وجد رجالا يعلمونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم ارقى العالمين واسبقهم في كل الميادين

هذا ما راينا ان نثبته من كلام هذا السياسي العظيم الذي كتب ما كتب عن تجربة وروية (١)

كلمة بسمرك في تأثير الدين من حيث هو دين

جاء في الجزء الثاني من تاريخ الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ص ٣٨٠ - ٣٨١ طبعة ثانية ما نصه :

رأيت « اي الشيخ محمد عبده » في وقائع بسمارك التي نشرت بعد موته بقلم كاتم اسراره مسيو بوش كلا ما جاء به البرنس وهو على مائدة الطعام مع جلسائه يتعلق بالدين فاستحسنت ترجمته ليطلع عليه من لم يعن بقراءة هذا الكتاب من شباننا الذين يعدون النسبة الى دينهم سبة والظهور بالمحافظة عليه معرة وليعلموا ان الايمان بالله والوحي الآلهي الى انبيائه ليس نقصا في الفكر ولا ضلة عن صحيح العلم ولاعيا في الرياسة ولا ضعفا في السياسة

---

(١) ذكر ليون روش ان المسلم لا يعرف الشر واللغو والكذب وحقا ما قال كيف يعرف المسلم الشر ودينه ينهى عنه وكيف يعرف اللغو وكتاب الله يقول : واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه ويقول واذا مروا باللغو مروا كراما ويقول والذين هم عن اللغو معرضون وكيف يعرف الكذب والكتاب والسنة طافحان بذمه ويكفي قوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله

اما ان المسلم بسيط لا يظن باحد سوءا فلا وذلك انه وان وردا لنهي عن ظن السوء في الكتاب والسنة فقد بين العلماء ان الظن الواجب اجتنابه ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر وسواه لاحرج فيه ويؤثر عن الحسن • رضي الله عنه : كنا في زمن الظن بالناس فيه حرام وانت اليوم في زمن اعمل واسكت وظن في الناس ما شئت

جلس البرنس بسمرك على مائدة الطعام فرأى بقعة من الدهن على غطاء المائدة فقال لاصحابه كما تنتشر هذه البقعة في النسيج شيئا فشيئا كذلك ينفذ الشعور باستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الوطن في اعماق قلوب الشعب ولو لم يكن هناك امل في الاجر والمكافأة ، ذلك لما استكن في الضمائر من بقايا الايمان ذلك لما يشعر به كل احد ان واحدا مهيمنا يراه وهو يجالد ويجاهد ويموت وان لم يكن قادر يراه ، فقال بعض المرتابين اتظن سعادتكم ان العساكر يلاحظون في اعمالهم تلك الملاحظة فاجابه البرنس :

ليس هذا من قبيل الملاحظات وانما هو شعور ووجدان ، هو بوادر تسبق الفكر ، وهو ميل في النفس وهوى فيها كانه غريزة لها ، ولو انهم لاحظوا لفقدوا ذلك وأضلوا ذلك الوجدان

هل تعلمون اني لا أفهم كيف يعيش قوم ؟ وكيف يمكن لهم ان يقوموا بتأدية ما عليهم من الواجبات او كيف يحملون غيرهم على اداء ما يجب عليه ان لم يكن لهم دين جاء به وحي سماوي واعتقاد بإ آله يحب الخير وحاكم ينتهي اليه الفصل في الاعمال في حياة بعد هذه الحياة »

ثم ساق الوزير كلامه على هذا النمط باسلوب آخر فقال :

لو نقضت عقيدتي بديني لم اخدم بعد ذلك سلطاني ساعة من زمان اذا لم اضع ثقتي في الله لم اضعها في سيد من اهل الارض قاطبة ، لكن انظروا الي تجدوني قد ملكت من موارد الرزق ما يكفيني وارتقيت من المناصب مالا مطمع بعده فلماذا اشتغل ؟ ولم اجهد نفسي في العمل ؟ ولم اعرضها للهموم والآلام ، لو لم يكن لي ايمان بالعناية الآلهية التي قضت بان يكون لهذه الامة الالمانية شان كبير واثر في الخير عظيم لطرحت لساعتي ما احمله من اثقال وظائف الحكومة

مـاذا اقول بل لو لا ذلك الايمان لما قبلت شيئا من هذه الوظائف لان الرتب والالقاب لا بهاء لها في نظري ، لو لا يقيني بحياة بعد الموت ما كنت من حزب الملكية ، لو لم يكن هذا اليقين لكنت جمهوريا ، نعم انا جمهوري بالفطرة يتبين ذلك من الغارات التي اشنها على هنات « خصال الشر » رجال الحاشية من مدة تزيد على عشر سنين

من هذا يظهر ان ايماني بلغ من القوة اعلاها حتى حملني بقوته على ان اكون ملكيا ، اسلبوني هذا الايمان تسلبوني محبتي لوطني اعلموا انني لو لم اكن مسيحيا مخلصا لم يكن لكم وزير كبير مثلي يدبر امر الاتحاد الالماني

لو لم اكن مخلصاً في ديني لوليت ظهري جميع الحاشية ، ولو وجدتم لي في الغد خلفا يكون اخلص مني في يقينه لا نفلت من المنصب في الحال . ما اعظم مسرتي بهجر الوظائف لو تعلمون

اني احب المعيشة في القرى والحقول . احب الآجام ومناظر الخليقة انزعوا عني هذه الرابطة التي تصلني به تجدوني من الغد رجلا ياخذ أهبته للسفر الى « وارزين » ليشتغل بحراثة ارضه وتنمية غرسه ، ان لم اكن خاضعا لامر إلهي فلم اضع نفسي تحت طاعة هذه العائلة المالكة مع انها تتصل باصل ليس بالاعلى ولا بالانبل من الاصل الذي تتصل به عشيرتي

هذا كلام بسمرك وهو يدلنا على ان هذا الرجل العظيم كان يعتقد ان عظائم اعماله انما كانت من مظاهر ايمانه وان الاعتقاد بالله والتصديق باليوم الآخر هما الجناحان اللذان طار بهما الى ما لم يدركه فيه مفاخر ولم يكثره مكاثر اه ما جاء في هذا الفصل

الفائدة الثالثة من فوائد الوصل بين الدين والحكومة

الابقاء على الصلة التي تربط الحكومة بالحكومات التي تشاركها في دينها

جعل الله بين الناس روابط تصل بعضهم ببعض منها رابطة الدين ومنها رابطة اللغة ومنها رابطة الوطن ومنها رابطة الجنس ومنها رابطة الانسانية وامتنها واجمعها واكثرها فائدة وازكاها اثرا رابطة الدين فهي تصل بين مئات الملائين ممن يعتصم بحبلها على اختلاف السنتهم والوانهم واوطانهم

وقد وحد الاسلام بين من يستظل بظله ويدين به وجعلهم اخوة قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وفي حديث ابن عمر : المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه رواه البخاري

ومن حديث النعمان بن بشير : مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى رواه مسلم واحمد

ومن حديث أبي موسى : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا رواه الترمذي والنسائي والبيهقي

ومن حديث ابي هريرة عند « خود » المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن اخو المؤمن يكف عليه ضيعته « اي يجمع عليه معيشته ويضمها له » ويحوطه من ورائه « اي يحفظه ممن يؤذيه »

ومن حديث سهل بن سعد عند احمد : يألم المؤمن لاهل الايمان كما يألم الجسد لما في الراس

وفي حديث حبيب بن خراش : المسلمون اخوة لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى رواه الخطيب

هذا نموذج مما جاء في الكتاب والسنة في وحدة المسلمين بدينهم وقد كان لهذه الوحدة الاثر الصالح البين ايام كان المسلمون يأتمرون باوامر دينهم ولا يتعدون حدوده ثم حالت الاحوال ونزغ بينهم شيطان الفرقة الذي اغراه بهم الاستعمار الاجنبي ودسائسه الملعونة فاضعف ما بينهم من رابطة الدين ليتمكن من استعبادهم واذلالهم فإضعاف الرابطة الدينية نزعة استعمارية

كلمة جريد العروة الوثقى في هذا المعنى

جاء في مقال للعروة الوثقى التي كان اصدرها في باريس السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده عنوانه : التعصب وهو في العدد (٦) الصادر في ٢٨ جمادى الاخرة سنة ١٣٠١ جاء في هذا المقال ما نصه :

نعم ان الافرنج تاكد لديهم ان اقوى رابطة بين المسلمين انما هي الرابطة الدينية وادركوا ان قوتهم لا تكون الا بالعصبية الاعتقادية ولاؤلئك الافرنج مطامع في ديار المسلمين واوطانهم فتوجهت عنايتهم الى بث هذه الافكار الساقطة بين ارباب الديانة الاسلامية وزينوا لهم هجر هذه المقدسة وفصم حبالها لينقضوا بذلك بناء الملة الاسلامية ويمزقوها شيعا واحزابا فإنهم علموا كما علمنا وعلم العقلاء اجمعون ان المسلمين لا يعرفون لهم جنسية الا في دينهم واعتقادهم وتسني للمفسدين نجاح

في بعض الاقطار الاسلامية وتبعهم بعض الغفل من المسلمين جهلا وتقليدا فساعدهم على التنفير من العصبية الدينية بعد ما فقدوها ولم يستبدلوا بها رابطة الجنس الوطنية التي يبالغون في تعظيمها واحترامها حمقا منهم وسفاهة فمثلهم كمثل من هدم بيتا قبل ان يهيء لنفسه مسكنا سواه فاضطر للاقامة بالعراء معرضا لفواعل الجو وما تصول به على حياته اه ثم بينت الجريدة ان الانكليز سلك هـذه الطريقة في الهند وان هذا الاسلوب من السياسة اجادت الدول الاروبية اختباره وجنت ثماره

فالدولة التي تقطع صلتها بالدين تقطع الصلة بينها وبين الدول التي تدين بذلك الدين ومن يدين به من رعاياها وبهذا تفقد معونتها عند الحاجة اليها وما احد باقل من ان يعين ولا باكبر من ان يعان ٠

بل الدولة التي تقطع صلتها بالدين تهلك الصلة بينها وبين شعبها المتديـن فتعيش وهي على حذر منه ويعيش وهو يتربص بها الدوائر واذا علم هذا فالفصل بين الدين والحكومة عدول عن الخير في اجمل مظاهره واصلحهـا الى الشر في اقبح مظاهره وافسدها ، ولا داعي اليه الا التهقليد وناهيك بالتقليـد وشـروره المستطيرة ومن اعظمها في موضوعنا القضاء على الشعور الديني ورابطته المتينة وقضاء ما في نفوس دول الاستعمار من حاجات نعلمها ويعلمونها ويعملون للوصول اليها والله من ورائهم محيط

الفصل بين الدين المسيحي والحكومة

كان من آثار التمدن الاوربي التفريق بين السلطتين الدينية والمدنية فللكنيسة الاشراف على اعتقاد من يدين بدين المسيح عليه السلام وعلى الاعمال التي تصل بين العبد وربه ولها السلطان المطلق في الوصـل والقطـع والاعطاء والمنع والتحليل والتحريم والتصرف الذي لا حد له في كل ما له صبغة دينية

اما السلطة المدنية فليس لها التصرف التشريعي فيما بين الرعايا من شؤون المعاملات وحق النظر في كل ما يستقيم به امر النظام الاجتماعـي ويرى بعض الساسة من الاروبيين وغيرهم ان هذا التفريق اساس التقدم وان المسلمـين لو اتبعوا هذا السنن لكانوا في مصاف الامم المتقدمة الراقية وانهم لم يلحقوا بمن سبقهم من الامم في هذا العصر لتمسكهم بالجمع بين السلطتين الدينية والمدنية

بهذا يجاهر بعض الخطباء والكتاب ويدعون المسلمين الى التفريق بين السلطتين وقد كون "هذه "الفكرة الجهل بالسلطة الدينية في الاسلام وفهمها فهما معكوسا واعتقاد انها شقيقة السلطة الدينية عند المسيحيين

الاسلام دين يحرر رقاب اهله من كل مظهر من مظاهر العبودية لغير الله عز وجل ويسفه احلام الذين يذهبون الى هذا ويفترون على الله الكذب بنسبته الى اي دين

فهو الدين الذي يصدع كتابه بقوله : ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوءة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيئين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون . وبقوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله

فالمسلم بحق لا يعبد الا الله ولا يرجو المغفرة الا منه ولا يتوب من ذنوبه الا اليه . ويرى ان الحق له وحده في التشريع تحليلا وتحريما .

ذلك انه يقف عند حد : اياك نعبد واياك نستعين وهي آية يكررها في كل صلاة من صلواته كل يوم . ويقف عند حد : ومن يغفر الذنوب الا الله ويقف عند حد : قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب . وفي المسند ان النبيء صلى الله عليه وسلم اتي باسير فقال اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال عليه الصلاة والسلام : عرف الحق لاهله

وصح ان رجلا قال للنبيء صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت فقال : اجعلتني لله ندا قل ما شاء الله وحده

المسلم بحق يتلو قول الله تعالى : اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم . ثم يرجع في فهم الآية الى ما جاء فيها عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيقع بصره على ما روى الامام احمد والترمذي وابن جرير من طريق ابن عدي بن حاتم رضي الله عنه انه قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرا هذه الآية : اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال فقلت انهم لم يعبدوهم فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم . فيعلم من هذا وامثاله ان التشريع حق لله وحده وان الاخذ بما يشرعه غيره من مظاهر الشرك في الربوبية

وما المجتهدون الا مخبرون عن الله تعالى بان الحكم عنده كذا على حسب ما تعطيه الادلة الشرعية من كتاب وسنة وغيرهما لا مشرعون من قبل انفسهم

المسلم بحق يتلو ويعتقد قول الله عز وجل في خطاب رسوله صلى الله عليه وسلم : قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك إن اتبع الا ما يوحى الي ، ويقول قبيل هذه الآية : وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين . ثم هو يتلو قول الله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم : قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون. وتزيد هذه الآية على التي قبلها بالاحتجاج لنفي علم الغيب عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما نبه القرآن عليه بقوله : ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء

نعم يعلم الرسل عليهم الصلاة والسلام من الغيب ما ينزل به عليهم الوحي الالهي وينتظم في سلك ما يؤيدون به ، قال الله تعالى : ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك . وقال : وماكان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، وقال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول

المسلم بحق لا يرى جبر احد من اهل الكتاب على الخروج من دينه ولا يرى ان مما يقربه الى الله زلفى ان يهضم حق من دخل في الذمه او اتصل به بعهد او حصل منه على امان بل يتقرب الى الله تعالى بالعدل فيه والاحسان اليه

ذلك لانه يتلو قول الله تعالى : لا اكراه في الدين. ويقف على ما يروى في سبب نزول هذه الآية ومنه ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان فقال للنبيء صلى الله عليه وسلم : ألا استكرههما ؟ فانهما قد ابيا الا النصرانية فانزل الله فيه ذلك

وعلى هذا مضى عمل خلفاء المسلمين سلفا وخلفا ويذكر بعض المؤرخين ان السلطان سليمان استفتى الشيخ ابا السعود العمادي في اكراه من تحت

سلطانه من النصارى على الاسلام او الجلاء فابى ان يفتيه وبين له ان الاسلام لا يسيغ هذا فعمل بما افتاه به

وكما يتلو المسلم تلكم الآية : لا اكراه في الدين يتلو قول الله تعالى : واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ، وقوله وسعت رحمته : ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فيعدل ويحسن دون تمييز في الدين

ذلك ان لفظ المسكين يشمل المسلم وغيره والاسير لا يكون الا من غير اهل الملة

المسلم بحق لا يرى ان التنازل عن الملك والسلطان ، مما يرفع منزلته عند الملك الديان ، ذلك انه يتلو قول الله تعالى : ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقوله تعالى : وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ويمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، ولكنه لا يرى الملك والسلطان وسيلتين الى استعباد الناس والبغي في الارض بغير الحق لانه يتلو قول الله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر

المسلم بحق يرى المسالمة والمياسرة ولكن الى حد محدود فهو يجمع بين قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة وقوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين .

وهو يضع كل ما جاء في الآية الآتية موضعه اللائق به :

قال الله تعالى : والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون ، وجزاء سيئة سيئة مثلها ، فمن عفا واصلح فأجره على الله،ان الله لا يحب الظالمين،ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ، انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون

في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ، ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور

فهو بخير النظرين اذا أصابه البغي ان ينتصر وان يعفو وليس عليه ان يدير خده الايسر لمن ضربه على خده الايمن

المسلم بحق لا يرى ان وسيلة وصوله الى الله تعالى ان يترك الدنيا وشأنها بل يرى ان الجمع بين الدنيا والآخرة امر ميسور كلما جعلت الدنيا وسيلة إلى الآخرة لانه يتلو قول الله تعالى : فمن الناس من يقولوا ربنا آتينا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب

وليس من عقيدته ان لا يقدر على خدمة الله والمال وانه يعسر ان يدخل غني ملكوت السماوات وان مرور جمل من ثقب إبرة ايسر من ان يدخل غني ملكوت السماوات

ليس من اعتقاده شيء من هذا لانه يتلو قول الله تعالى : وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله . ويروي قوله صلى الله عليه وسلم : نعم المال الصالح للرجل الصالح ، وقوله صلى الله عليه وسلم : اليد العليا خير من اليد السفلى وقوله انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم فقراء يتكففون الناس ، ويعلم ان عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب وعبد الرحمن بن عوف والزبير كانوا من اوسع الناس ثروة وكان لعبد الله بن المبارك مال كثير ومثله الليث بن سعد وسفيان وكان له راس مال ويقول لولا هذا لتمندل بنا هؤلاء

هذه جملة من عقائد الاسلام وتعاليمه القيمة مؤيدة بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والمنصف يقيم الوزن بالقسط ويقيس بها عقائد وتعاليم بعض الملل الاخرى ثم يحكم بالعدل بينهما فتكون الغاية التي ينتهي اليها مطمئن القلب ان لا خطر يهدد احدا من الناس ولا مصلحة من المصالح العامة والخاصة ان تبقى الحكومة الاسلامية على صبغتها الحقيقية آخذة بزمام السلطتين الدينية والمدنية بل الخير كل الخير ان تبقى على جمعها الحميد ، وقياسها على بعض الحكومات المسيحية التي فرقت بين السلطتين قياس ليس له من الحق جامع بل الفارق بين كفلق الصبح وحسبنا الله ونعم الوكيل وهو يقول الحق ويهدي السبيل

محاضرة*

للعلامة صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الهادي ابن القاضي المفتي الحنفي

افتتح قولي باسم الله الذي يكرم الانسان بالعقل والنطق وفضله بهما على سائر الخلق . واثنى بالصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعي الى الحق . وآله وصحبه الباذلين مهجهم وارواحهم في اعزاز دين الاسلام والعدالة والصدق . ثم يلي ذلك التوجه الى الله تعالى بالحمد والثناء والشكر على ما منحنا من اسباب السعادة . واسترجاع ما افتك منا من مظاهر السيادة وانه لمن الفرص السعيدة ان يكون اجتماعنا هـذا موافقا لاستهلال عام هجري جديد نحس جميعا بالتيامن بحلوله والاستبشار بدخوله ونحن في عهد تحول من حال الى حال فعسى ان يكون بشير خير وفال سعود ورحمة وصلاح . ومما يجب له التنبه في هذا المقام ان صلاح الحال لا يكفي فيه قول اللسان . بل لا بد من تظافر اللسان والاركان والجنان باستعمال جميع ما منحنا العلي الرحمان . من مظاهر العزة والقوة والسلطان . فيما اعد له وخلق لاجله . قولا وفعلا واتيانا وهجرا سرا وجهرا . وان نكون في جميع ما ناتي ونذر ونبني ونهدم مستوحين روحه من كتابنا الكريم . ودستورنا الحكيم . وسيرة سلفنا الصالحين . وعلمائنا العاملين . ولما كنا واقفين على عتبة البناء والتشييد . والترميم والتجديد لما انفسخ من اخلاقنا وانهار من عزنا وعزمنا وجب علينا ان نراجع امورنا ونتفقد احوالنا ونبحث شؤوننا بعين يقظة وعقل واع نبحث عن العلل والامراض التي ادت بنا الى تلك الحال . واوقعتنا فيما نحن فيه من الهوان . واخرتنا عن الركب . بعد ان كنا القادة السابقين . والرافعين لراية العلم والتمكين باليمين ولا شك اننا بالسعي والعمل والحزم والمثابرة

* القاها فضيلته في جامع صاحب الطابع في مفتتح العام الهجري في مهرجان الدعوة ضد المسكرات الذي اقامته جمعية مقاومة المسكرات والمخدرات .

والعزيمة الراسخة واجدون لامراضنا دواء ولعللنا شفاء . شريطة ان لا نخفي على انفسنا عللها وادواءها وان لا نوهم انفسنا اننا على اكمل حالات الصحة والمعافاة فان هذا هو الحماقة بعينها وقديما قيل

لكل داء دواء يستطب بـه الا الحماقة اعيت من يداويها

وان امراضنا لكثيرة ومتنوعة ومزمنه ، فلا يكفي فيها ان تعالج بالاراء الفردية باستشارة طبيب واحد او طبيبين بل لا بد لها من العرض على اهل الاختصاص في كل نوع منها وعقد المؤتمرات المتعددة والعمل بنصائحها بدقة واستماتة في الامتثال والاستنصاح ولو تحملنا في سبيل ذلك ما يؤلم في الظاهر فان نزع العادة صعب وتجرع الدواء المر يحتاج الى صبر ومثابرة ولكن العاقبة شفاء واستجمام وراحة دائمة ومعافاة فلينظر العاقل الى الخاتمة ولا يقتصر بنظرة على السابقة وهذه جماعة طبية من اطباء الارواح والابدان انتظمت لتنظر بعض تلك الامراض وتصف لها العلاج اللازم فاجتهدوا في الاخذ بنصائحها وملازمة العمل بتوصياتها وان هذا المرض الذي هو من اختصاصاتها مرض فاتك يمس اقدس شيء في الانسان ويتناول اهم اعضائه واكثرها حساسية وحيوية . هذا المرض يمس العقل والقلب والكبد والكلى وبالاخارة يمس الروح الانسانية التي فضل الله بها الانسان على جميع الحيوان واستحق بها الخلافة في الارض. اجل هو مرض تناول المسكرات والمخدرات والمساحيق البيضاء والسوداء وما اليها من المشروب والمنشوق والمحقون فقد تفشى هذا المرض الخطير بين كهولنا وشبابنا ورجالنا ونسائنا وفي حواضرنا وبوادينا واقبل عليه سكان المدن والقرى والارياف بصورة تبعث على الفزع وتنذر بالخراب . خراب العقول والابدان ثم بانتهاك حرمات الاموال والاعراض فان ضرره عام شامل يتناول الارواح والاشباح . ويقضي على المال والعرض والنسل . ولهذا نرى الشرائع السماوية اجمعت على تحريمه وارشدت الى عواقبه الوخيمة وشددت النكير على متعاطيه . وزيادة في الحذر منه وابعاد الساحة عن المجتمع الاسلامي قررت الشريعة الاسلامية وراء تحريم تعاطيه وتناوله تحريم صنعه والاتجار فيه ومجالسة معاقريه لان ذلك من شأنه

ان يسهل امره للمولعين به وقد يدفعهم لتناوله دفعا من غير روية ولا تبصر في عواقبه فان الامراض تعدي ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه .

واعلموا ان اسم الخمر الوارد تحريمها والتحذير والتنفير منها والتنصيص على مضارها في نصوص الكتاب والسنة يتناول بعبارة النص وباشارته وفحواه كل ما يخامر العقل فيسلبه القدرة على ما هو من اختصاصاته ويحجبه دون القيام بمهمة نظره وادراكاته ويفقده تلك القوة الملائكية والطاقة اللدنية التي يزن بها الامور بمقياس نوراني سليم فاذا انطفأ ذلك المصباح انطمست الانوار ولا منجي حينئذ من العثار والوقوع في مجاري الانهار ومضلة طريق النجاة والسلامة . فليحفظ المسلم عقله وبدنه سليما قادرا على القيام بواجباته قويا قويما . ولا يدخل عليه من السموم والآفات ما يفقده شيئا من طاقته التي اودعها الله فيه

ولا يقولن احد ان في هذا تضييقا على حرية الانسان وصدا له عما تشتهيه نفسه من بعض ما خلق الرحمان وان في منع الاتجار بها منعا لطائل الارباح التي تجرها لاهلها ومتعاطي ترويجها من التجار والوسطاء ومن اليهم فانا نقول لهؤلاء ان الحرية وان كانت محمودة ومطلوبة وهي غاية ما يصبو اليه الفرد والجماعة الا انها محدودة مضبوطة بما لا يكون معه ضرر للهيئة الاجتماعية ولا يجر ويلا ولا انحرافا عن السنن المرعية . واصول العدالة الاجتماعية وقوانين الصحة العمومية وما وضع القوانين والنظم الحكمية لدى الامم الراقية الرشيدة الا تقييد لهاته الحرية بما يكفل نظاما للتعايش على اساس المحافظة على حقوق الفرد والجماعة والمصالح فانه من المقرر لدى جميع الحكماء والباحثين والفقهاء المجتهدين انه اذا تضاربت مصلحة الفرد والجماعة قدمت مصلحة الجماعة وانه اذا تعارضت المصالح والمفاسد والمنافع والمضار قدم جانب دفع المفسدة والمضرة على جانب جلب المصلحة والمنفعة فان التخلية مقدمة على التحلية كما يقول علماء التربية وان امجد الخصال وأشرف المكارم هو ان يكون للمرء من نفسه على جسمه سلطان وان لا يجعل من لذاته ومنافعه الشخصية اغلالا تقيده وقد صح لدى

علماء الصحة ان الخمور وسائر المخدرات زيادة على ما تلحقه بالجسم من الامراض الفتاكة التي تلحق الاعضاء الرئيسية فانها تمتد الى النسل فتفتك به فتكا ذريعا بحيث ينشأ فاقدا للحصانة الصحية التي يتمتع بها البدن السليم المعافى ويكون عرضة لكثير من الامراض المزمنة حتى قال بعض الحكماء اضمنوا لي تحريم الخمور واغلاق الحانات التي تتعاطى ترويجها اضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات .كما صح لدى علماء الاجتماع والاخلاق ان اكثر الجرائم المتفشية بين البشر متسببة عن تناول المخدرات والخمور فهي الباعثة على ارتكاب اشد انواع الجرائم هولا وتخريبا للمجتمع فهذه جنايات الاعتداء على الانفس والاعراض والاموال بله الاخلاق الكريمة والمقابلة النبيلة انما يرتكبها في الاغلب الاعم اناس فاقدون لتوازن قوامهم العقلية بسبب ما يتعاطونه من تناول سموم مهلكات وخمور قذرات وبما تحدثه بينهم من مشاحنات وعداوات ومنازعات ومهاترات وما تدفع اليه من ارتكاب موبقات حتى قال بعض الحكماء اضمنوا لي غلق الحانات اضمن لكم الاستغناء عن نصف السجون

واننا لواجدون في المؤتمرات الدولية والندوات العلمية في هذا القرن ما يؤيد ما ذهبنا اليه وقررته شريعتنا منذ اكثر من اربعة عشر قرنا في الخمور والمخدرات

ففي عام ١٩٢٨ عقد المؤتمر الدولي التاسع عشر لمكافحة المسكرات في بلجيكا لبحث الموضوعات التالية

اولا بحث مقدم من اللجنة الطبية للمؤتمر الذي يقرر عدم فائدة الخمر في تدفئة الاجسام ووقايتها من اثر البرد

ثانيا بحث مقدم من اللجنة الطبية وموضوعه جرعة من شراب الوسكي هل تصلح كعلاج للضعف والهزال

ثالثا بحث مقدم من اللجنة الاجتماعية للمؤتمر وموضوعه هل في تحريم الخمر مصادرة للحريات العامة

ففي الموضوع الاول وقف كبير اطباء مستشفى فينا قائلا :

لقد كان رجال الطب على خطا عظيم اذ كانوا يصفون تعاطي جرعات من

المشروبات الكحولية للاستفادة منها في مقاومة البرد لما كان يبدو من تأثيرها في الظاهر في تدفئة الجسم عند تناولها

ثم استطرد قائلا : ان الشعور بالدفء في هذه الحال انما هو شعور كاذب اذ يعقبه انخفاض في درجة حرارة الجسم

ولما فتح باب المناقشة في الموضوع قال احد الحاضرين :

كان اهل جزيرة ايسلندا وهي من اشد البلدان بردا يستعينون على مقاومة البرد بتعاطي المشروبات الروحية فكثرت بينهم الوفيات الى حد اقلق بال ولاة الامور فالفوا لجنة لهذا الغرض . واثبتت هذه اللجنة ان كثرة الوفيات راجع الى ان القوم يستنفدون حرارة اجسامهم بما يتعاطون من المسكرات . وهذه الظاهرة هي التي دفعت برلمان ايسلندا على اصدار تشريع يحرم الخمر في البلاد

وحينئذ نهض ممثل احدى البلاد الشرقية الاسلامية في المؤتمر وقال ان هذا الذي تقررونه اليوم كان قرره نبي الاسلام فقد حذر اتباعه من شرب الخمر واوضح لهم انها لا تنفع في مقاومة البرد ثم ترجم لهم الحديث النبوي التالي

عن ديلم الحميري قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله انا بارض باردة نعالج فيها عملا شديدا وانا نتخذ شرابا من القمح نتقوى به على اعمالنا وعلى برد بلادنا . فقال هل يسكر قلت نعم . قال فاجتنبوه . قلت ان الناس غير تاركيه . قال فان لم يتركوه فقاتلوهم . عندئذ دهش اعضاء المؤتمر وقابلوا كلمته بالتصفيق والاستحسان

وفي الموضوع الثاني وقف احد اعضاء المؤتمر قائلا :

هناك الاف الآلاف من المرضى كنا نحن معشر الاطباء نوصيهم ونصف لهم انواعا من الخمر تعجيلا لشفائهم والحقيقة اننا كنا نعجل بالقضاء عليهم . فوقف ممثل مصر في هذا المؤتمر قائلا لقد سبقكم الى هذا نبي الاسلام فقد اوضح لقومه ان الخمر لا تنفع للتداوي ثم ترجم لهم الحديث التالي

عن طارق الجعفي رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخمر فنهاه عنها . فقال انما اصنعها للدواء فقال انها ليست بدواء ولكنها داء فعجب اعضاء المؤتمر من مطابقة ارائهم الجديدة لاقوال نبي الاسلام

وفي الموضوع الثالث وقف احد اعضاء المؤتمر يقول نبأ لنا معشر الاروبيين ما دمنا لا نطبق تحريم هذه المسكرات ان ضحاياها لا تقل عن ضحايا الاوبئة والحروب . يجب ان نمنع الناس من ادمان الخمر ولو بالالتجاء الى القوة والعنف

فعاد ممثل البلاد الاسلامية يقول ان الدين الاسلامي لم يكتف بتحريم الخمر وشربها وبيعها وصنعها وحملها وتقديمها وربح ثمنها بل انزل بشارب الخمر عقوبة بدنية زجرا له وصونا للحريات العامة من ان تكون عرضة لاعتداء مدمني الخمر فعلا هتاف المؤتمرين وابدوا اعجابهم الشديد بعد ان تبين لهم ان الاسلام قد سبقهم الى هذه الاراء والافكار التي زعموا انها جديدة والتي جاؤوا لبحثها والتشاور في امرها من اقصى المعمورة

وانا لا نجد ما نختم به كلمتنا في الخمور والمخدرات ابلغ واجمع واوضح من الآية الكريمة التي هي آخر ما نزل في بيان حكم الخمر (إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله فهل انتم منتهون) فعلينا ان نرفع اصواتنا جميعا مستجيبين لنداء القرآن وان نقول كما قال عمر انتهينا يا رب

اصلاح اخطاء ما نشر في التفسير في الجزء ٥ من المجلد ٩

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٣٣	١	العرض	الغرض
٢٣٣	١	يخفى عنه	يخفى عليه
٢٣٣	٩	لهاغيرالاعراب يصح	لها ـ غير الاعراب ـ يصح
٢٣٣	٢٥	حماتها فاحسابكم	حماتها * باحسابكم
٢٣٤	٨	للعبد	للبعد
٢٣٤	١٣	لا نادرا	الانادرا
٢٣٤	٢٣	التقديس في	في التقديس
٢٣٤	٢٦	لـألا	لئلا
٢٣٤	٢٧	الرهب	الراهب
٢٣٥	١٥	السابقة على دخول	التي تسبق دخول

دعوة المغرب الاسلامـــي

لتوحيد العمل في رؤية هلال الشهر

(٤)

للاستاذ محمد الحبيب المحامي

زبدة القول في الوحدة

الذي يظهر للناقد البصير من تتبع كلام الائمة واصحاب محررات المذاهب الاسلامية اجماع علماء الشريعة على ان اختلاف الدارين لا تاثير له بين المسلمين ، وان الاحكام كالتوارث - ومن باب اولى وأحرى غيره مما هو دونه ولا شك - تجري بينهم وان اختلفت الدار باختلاف الملك والمنعة . لان احكام الاسلام تجمعهم وسماحة الدين تأبى التفرقة بين اخوة الايمان في الحكم وان اختلفت المواطن والمطالع ، وبالاخص التفرقة في العبادات ومتعلقاتها التي هي أجلى المظاهر لهم في الخارج .

فهذا الدين السمح الذي قامت اصول شريعته وفصلت احكامها على رعاية المصالح في الحياتين - العاجلة والآجلة - ودرء المفاسد - العامة والخاصة - ينزه عن ان يبيح لاهله وهو دين التوحيد التفرق شيعا مهما اختلفت الدار ، بل من المتاكد على اهله استعمال ذلك الاتحاد ومراعاته في المظهر الجامع بين المسلمين بالخصوص ، وهو واجب ديني ومقصد اسلامي روعي في الاحكام الشرعية واجمع عليه ائمة المذاهب الاسلامية وعلماؤها بل واصطلحوا مباهين معتزين بقولهم: هذا ما عليه اهل السنة والجماعة وهو من مقتضيات الآية الكريمة (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) اذ من اجلى مظاهر القوة الوحدة ، والسعي في كل ما يتعلق بمناط الوحدة الجامعة للمسلمين واجب على كل مسلمي المغرب الاسلامـي والمشرق الاسلامي ان لم يكن مباشرة فمن حيث النتيجة حسبما قرره علماء الامـة من ان ما لا يتم الواجب المطلق إلا به فهو واجب .

اليس هذا المدرك هو الذي ادى ببعض الفقهاء الى الافتاء بعدم صحة تعدد

الجمعة بالمصر الواحد ؟ اليس الامتثال لحكم الشرع والرضى به والاذعان له من شروط المسلم ؟ فاذا حكم الحاكم الشرعي - اعم من كونه خليفة أو اميراً او متوليا لهما - يكون حكمه ماضيا يقبله كل مسلم بالرضى والاذعان لانه مستمد من الشرع الاسلامي ؟

ومن هذا الباب اذا ثبتت رؤية الهلال عند حاكم شرعي وحكم بدخول الشهر وعلم به الناس عملوا بحكمه قطعا ، لان حكمه يتقبل من كل مسلم بالامتثال الم تر الى ما قرره فقهاء المذهب الشافعي من انه اذا حكم برؤية الهلال حاكم يراه يلزم الجميع العمل بما امضاه حتى عند من يعتبر اختلاف المطالع لان اعتبارهم لحكم الحاكم الشرعي اعظم ، قال ابن حجر : « لانه صار من رمضان عندنا بموجب ذلك الحكم ومقتضاه » .

على ان القائلين باختلاف المطالع نصوا على انه لا يلزم اهل بلد العمل برؤية اهل بلد آخر الا اذا ثبت عند الامام الاعظم فبلغه لان حكمه نافذ في جميع البلاد والبلاد في حقه كالبلد الواحد .

ومن راعى اختلاف المطالع لاحظ المشقة في بلوغ الخبر الفوري ولو تيسر لهم التبليغ بالبرق والاذاعة التي يؤمن تزويرهما كما في عصرنا بدون مشقة لكان له رأي غير الراي الاول لان السعي في اتحاد المسلمين في مظاهر عباداتهم وعاداتهم امر منظور اليه في الشرع بالاعتبار كما اسلفنا .

بيان فيه عبرة

انتشرت هداية الاسلام على المشرق والمغرب واتسع سلطانه مسيرة مائتي يوم في مثلها وتلي القرآن وعبد الرحمن ما بين المحيطين - الهادي والاطلسي - ولكن فشت فعم ذلك بين الضلوع الانانية وخفقت القلوب بحب النفس وايثارها على الصالح العام بعد ما كان المسلمون يؤثرون على انفسهم اخوانهم ولو كان بهم خصاصة فاتقدت العصبية وقامت القيسية تنازع اليمانية والشعوبية تدس للعربية ، وهب دعاة الفساد والفتنة يسترون نحلهم ببرقع الذب عن العقائد ويروجون سلطانهم بتاييد المذاهب ومال الخلفاء والامراء الى اضطهاد حرية التفكير والانحياز لراي دون راي وتاييد فريق من الباحثين على الآخر كما وقع في فتنة خلق القرآن من المامون ومن بعده ، فزالت وحدة الاحكام بانقسام الخلافة وتصدعت وحدة الامة الاسلامية

بنعرة الجنسية والوطنية ، وفقدت الاخوة بعصبيات الملوك والولاة ، وعصوا ربهم الذي امرهم بقوله « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » فحق عليهم الوعيد وكان من اشد البلايا على المسلمين في تصدع وحدتهم ,نبذهم لعزائم الدين بتفرق ممالك الاسلام واستقلال كل وال بمفحص قطاة استقلالا يقطع بينه وبين الدولة العظمى صلة التناصر والتعاون،وادى التنافس على الامارات والرئاسات الى ان يدعو كل امير او وال منفصل الارض التي تغلب عليها مملكة ، ولم يترك شيئا من التحالف والتعاطف الابترة . فاحتضنت اغلب هذه الممالك مذاهب في العقائد والفروع غير مذاهب جاراتها لتبقى وحدها منفصلة عن مجاورتها لتحقيق تقاطع هذه الدويلات وتدابرها بالسيف على بعضها تحللا من الدماء المسفوكة بسبب الاطماع الشخصية المستورة برداء كاذب هو اختلاف المذهب والنحلة ، وكان لفقها ملوك الطوائف الاثر في هذا المنزع الانفصالي الذي أدى الى ضعف الدولة الاسلامية ، حيث تقدموا بالزلفى الى امرائهم بما يحقق منزع كل امير وهواه من التلفيق وتحويل الكلم عن مواضعه ، وقابلهم الامراء بالصلات والهبات وحق عليهم القول انهم صاروا ياكلون بدينهم لا بيمينهم ، ولم يجد ملوك الطوائف مندوحة عن تايد مذاهب خاصة كما سبقت الاشارة ، فجعل اهل الاندلس شرطا في ولاية القضاء الحكم على قول ابن القاسم خاصة ، وكاد ان لا يعرف في الجزيرة وبالاخص بعد اندثار المذهب الظاهري الا مذهب مالك على رواية ابن القاسم , اسوة بالمشرق حيث لم يكد يعرف مدة طويلة الا المذهب الحنفي على رواية ابي يوسف قاضي قضاة العباسيين ، وكان لاهل فاس ـ مملكة الادارسة ـ عمل خاص من مذهب مالك رضى الله عنه ، وحمل المعز بن باديس ـ مملكة صنهاجة اهل افريقية على مذهب مالك اختيار سحنون حتى يفر بمملكته التي استقل بها عن الدولة الفاطمية بمصر القائمة بمذهب الشيعة ـ او مذهب من مذاهب الشيعة على اصح تعبير ـ وعن الدولة العباسية ببغداد القائمة بالمذهب الحنفي ، على انه لم يلبث زمن طويل حتى كان لمذهب مالك بافريقية لون خاص دعى عمل اهل القيروان ، جنب المذهب الاباضي ومن قبلهم الصفرية ،

وقامت الحنابلة ببغداد ترد الفعل على الحكومات المتقلبة بين السنة ، والشيعة وهم انفسهم تميز الوهابيون عنهم بفقه يكاد يكون خاصا . وهكذا كانت حال الممالك الاخرى ، ناهيك ان الامير بولاية اذا اراد ان يهدد خليفة المشرق اهدى له نقودا مضروبة باسم خليفة المغرب ، والعكس بالعكس . وكانت النتيجة الحتمية من وراء ذلك انحلال الرابطة الاسلامية وضعف الوحدة المقصودة من روح التشريع الاسلامي بتسمي هذا حنفي والآخر مالكي وذاك شافعي وذلك حنبلي وغيره جعفري الى الخ مما هنالك .

وكان ذلك لم يكف حتى كان الخلاف في العقائد ايضا وادى في بعض الاحيان بالمخالفين الى المروق من حظيرة الاسلام

ان الائمة عليهم الرضوان مجتهدون استنبطوا الاحكام والفروع بما قامت لديهم من ادلة من الكتاب والسنة ومن قياس الاشباه والنظائر فيما لم توجد له نصوص قطعية ثابتة من الكتاب او السنة او ما جرى عليه عمل السلف الصالح من اجماع الصحابة رضي الله عنهم او اجماع اهل العلم المتقبل بالقبول والتظافر والاختلاف في طرق الاستنباط وما يثبت بالقياس الخفي امر مجتهد فيه ، وهو ضروري شائع لدى جميع الامم ذات الحضارة الضاربة في المدنية بسهم ، التعمق في البحث والتمحيص الشديد مقياس حيوية الامة ودليل ازدهار العلم بين ربوعها وتكاثر الباحثين لا يكون الا اذا كثر العلماء وراجت بضاعتهم وكانت حرية الفكر محترمة على الوجه الاقوم

ولكن ما كان يدور بخلد هؤلاء الائمة الاعلام - وهم من علمنا نزاهة وصلاحا - انهم يضعون اسس تفرقة وان اجتهادهم وتحريهم في الدين سيتخذه اصحاب الغايات وعبدة الاغراض ذريعة لايقاد نار الفتنة بين المسلمين وهدم كيان الوحدة الاسلامية والقاء نار البغضاء والتنافس في حظيرة الذين آمنوا من بعد ما جاءتهم البينات ، ولو بعثت الائمة من اجداثهم الطاهرة لتبرأوا من هؤلاء الذين ينتسبون اليهم افتياتا لتاييد عصبية وتاليف زمرة تنشق عن بقية المؤمنين ، ولنادوا بان ما كان منافيا لمصلحة المسلمين العليا ليس من الدين ، وانهم لا يقولون الا بما ثبت في محكم التنزيل او نطق به رسول رب العالمين او اجمع عليه صحبه المتقون.

التشريع الاسلامي

الحرية واثرها في التشريع

لحضرة الاستاذ الاكبر صاحب السماحة الشيخ
محمد العزيز جعيط شيخ الاسلام المالكي

الحرية ضد العبودية ويوسم بها الخيار والحسن من كل شيء يشترك في ذلك المعاني والذوات والعاقل وغيره فالشعر الحر هو النفيس الخيار . والفرس الحر الاصيل العتيق . والرملة الحرة الطيبة النبات وحر الدار وسطها وخيارها قال طرفة:

وتبسم عن المي كان منورا تخلل عن الرمل دعص له ند

وقال أيضا :

تعير في طرفي البلاد ورحلتي الارب يوم لي سوى حر دارك

والعبودية اصلها الذل والخضوع ثم شاع اطلاق الحرية على الانسان من سلوك ما يختار لكن الغربيون يجعلون هذا التمكن في دائرة احترام حق الغير وعدم الاضرار به والدين الاسلامي يجعل هذا التمكن في نطاق عدم حصول ضرر ينشأ عنه

وسواء اريد بالحرية المعنى الاصلي او الشايع في عصرنا هذا فهي محببة الى اولي الهمم الكبرى لذلك يبذل اباة الضيم في سبيل اقتعاد غاربها والاستواء على صهوتها كل علق نفيس

وما محاربة الاستبداد ومقاومة الطغيان والارهاق في جميع العصور الا مظهر طبعي من مظاهر النزوع الى الحرية والثورة على الاستعباد

وقد نشا عن تقييد الغربيين للحرية بقيد مراعاة حق الغير وعدم الاضرار به وعن تقييد الدين الاسلامي لها بان لا تثير ضررا قاصرا او متعديا اختلاف التشريع الاسلامي والتشريع الغربي في المسال التي لا تتزاحم فيها الحقوق وتقصر يد الضرر فيها عن مس غير الفاعل وكان ذلك في عامة مايعبر عنه بالكليات الخمس «حفظ الدين والنفس والمال والعقل والنسب» التي جاءت الشرائع السماوية بالمحافظة عليها

ففي ناحية الاعتقاد والعبادة يطلق التشريع العصري الغربي العنان للانسان في نبذ دينه الاصلي والاصطباغ بصبغة دين آخر والانخلاع من الاديان كلها ولا يرغمه على اداء عبادة من العبادات استجابة لنداء الحرية عنده التي هي من اوكد حقوق الانسان

اما التشريع الاسلامي فيمنع المسلم من نبذ دينه وانتحال دين آخر ويجعل انسلاخ المسلم عن دينه الاسلامي جريمة عظمى توجب المؤاخذة الكبرى . ويلزمه باداء العبادات الواجبة ويشرع الزواجر عن تركها لان نبذ الدين او العبادة الواجبة يفضي الى نزول الضرر البالغ بالفاعل وكما يصد الانسان على الحاق الضرر بغيره يصد على الحاق ضرر بنفسه واي ضرر اعظم من التعرض لعقاب الله تعالى في الدار الآخرة قال الله تعالى ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

فحرية المعتقد في الدين الاسلامي محصورة فيما لا يفضي الى المروق من الملة الاسلامية واما ما يفضي اليه فبابه مسدوم وحبله مقطوع

ومن هنا يدرك الناظر ان تمكين المسلم من التجنس بجنسية دولة غير اسلامية الموجب مفارقة الملة الحنيفية والجامعة الاسلامية لا يبيحه التشريع الاسلامي بحال وفي ناحية حفظ النفس لا يرى التشريع العصري الغربي حرجا في الانتحار تحقيقا لمسمى الحرية عنده .

ويراه الدين الاسلامي جريمة كبرى يمنع المسلم ان يقع في حمأتها ويتجرع علقمها قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة . وورد في الحديث الصحيح من قتل نفسه بشيء عذبه الله به في نار جهنم ❁ فاضراب الجوع المفضي الى هلاك النفس لا تبيحه الشريعة وتمنعه اشد المنع ومن واجب المسلمين ان يقلعوا عن تقليد غير المتدينين في هذه السنة السيئة التي لا يبررها مبرر

وفي ناحية حفظ المال يمكن التشريع العصري الغربي العاقل البالغ سن الرشد من التصرف في ماله تصرفا حكيما رشيدا او تصرفا اخرق اهوج يفضي الى ذهاب ثروته ايدي سبا لان ذلك من مقتضيات الحرية

اما الدين الاسلامي فيمنع التصرف الاخرق في المال ويمسك يد صاحبه عن تبديده في غير المباحات لما في ذلك من المضرة الناشئة عن هذا السلوك قال الله تعالى ❁ ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قيما ❁ وقال تعالى ❁ ولا تبذر تبذيرا ❁.

وفي ناحية حفظ العقل اختلف التشريع بالاختلاف في مسمى الحرية ايضا فلذلك يجيز التشريع الغربي العصري تناول المسكرات والمخدرات من غير تحديد

ويمنع الدين الاسلامي تناول كل ما يحجب العقل قال الله تعالى ❁ يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ❁ وفي الحديث الصحيح كل شراب اسكر فهو حرام

وفي ناحية حفظ النسب اختلف التشريع ايضا بناء على ما اسلفناه فجاز عند الغربيين التبني وان يلحق المرء بنسبه من ليس منه وجاز عندهم التعاشر بين الرجل والمرأة من غير ابرام عقد زواج

ومنع التشريع الاسلامي ان يلحق المرء بنسبة من ليس منه قال الله تعالى ❁ وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ❁ وجاء في الحديث الصحيح من ادعى (اي انتسب) الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام . وفي صحيح

مسلم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يبيتن رجل عند امرأة ثيب الا ان يكون ناكحا او ذا محرم

وكما وقع اختلاف التشريع فيما هو خاص بالفاعل مقصور عليه للاختلاف في مسمى الحرية كذلك وقع اختلاف التشريع في علائق الانسان مع غيره بناء على الاختلاف في مسمى الحرية

وقع الاختلاف في احكام العلائق الزوجية والمعاوضات والتبرعات

ففي العلائق الزوجية ينفذ التشريع الغربي الشروط التي انعقد عليها الزواج سواء منها ما يوثق السعادة الزوجية وما يحطها

ويبطل التشريع الاسلامي الشروط المناوأة لعقد الزواج ويجعلها لاغية كشرط ان تتحمل المرأة باعباء نفقة الزوج ، او شرط ان لا يتحمل الرجل اعباء انفاق المرأة وما ذلك الا ليبقى عقد الزواج محتفظا بصبغته الطبعية حتى لا يتسرب الاختلال لما بني عليه الزواج من تبيارك الزوجين في القيام بشؤون الحياة وانصراف كل لما هو قادر عليه وانسب بخلقته فتتفرغ الزوجة للشؤون الداخلية من تربية للاولاد وما تستدعيه شؤون المنزل الداخلية ويتفرغ الزوج للكد خارج المنزل ليعد من المال ما يلزم الاسرة من التكاليف

وفي المعاوضات يجيز التشريع الغربي المعاوضة على ما فيه غرر والايجار على عمل محدود باجل معروف اذا لم يتم الاجير العمل فيه تفرض عليه غرامة مقدرة بشيء من المال باعتبار كل يوم او كل شهر وقع تأخير العمل عن اجله

والتشريع الاسلامي يلغي هذه الشروط ويبطل المعاوضة عما فيه غرر لانه يمنع الاحتيال والخداع والاستحواذ على مال الغير بدون مقابل

المؤتمر الاسلامي

قررت هيئة المؤتمر الاسلامي الثقافية المؤلفة من مصر والبلاد السعودية والباكستان برنامجا جاء فيه رصد اعتماد لتعليم ثلة من شباب العالم الاسلامي على نفقتها

وقد استهلت اعمالها بتكليف الاستاذ محمود بريلوي الباكستاني بالبحث في ايران والباكستان والهند ومدها بالمعلومات الكافية في هذا الصدد فقدم الاستاذ توصياته للمؤتمر وبناء على ذلك دعت الهيئة ثمانية من الطلبة ليزاولوا تعليمهم في القاهرة على حساب المؤتمر بتسديد نفقات السفر ذهابا وايابا بالطائرة ونفقات السكن والماكل والكتب ورسوم التعليم وتوزيعهم على مختلف الكليات في الجامعات المصرية حسب برنامج المؤتمر

خواطر اسلامية

الصـــراع المستمـــر

بين حق الاسلام وباطل خصومه

بلقلم الاستاذ محمود الباجي وكيل النيابة
العمومية لـدى محكمة الجنايات بتونس

جاء الاسلام لينشر الهداية العامة ، ويرتفع بالبشرية الى درجات السمو ، ويخرج الناس من الظلمات الى النور ، ويستاصل الغرائز الضالة ، والاخـلاق الفاسدة ، والظلم والاسترقاق والجهالة ، ففتح الله به آذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وتـفازع ذوو الغرائز الشريرة والاخلاق المدنسة ، وانصـار الظلم والاسترقاق والجهالة يجمعون صفوفهم ، ويوحـدون قواهم ، ويؤلبون احلافهم ، لمقاومة الاسلام والاستبقاء على ما الفوه من من سيادة ظالمة ، واستثمار فضيع ، ولكن الاسلام وهو الدين الذي ارتضاه الله دينا لابناء الحياة واكمله من فيض جلاله ، وسلحه باسلحة الاقناع والمجادلة بالحسنى ، والاطمئنان القلبي ، صـاول خصومه من فجر ظهوره الى يوم النـاس هـذا ، وتحداهـم بصفاء مباديه ، وعظمة تعاليمه ، وكان النصر حليف الاسلام فيما خاضه مـن حروب ، وما مرت به من وقائع ، وكان الاسلام يكسب الخصوم انفسهم ويلمسهم نوره المشرق ، وسحره الباهر ، فاذا هم من غلاة الانصار بعد ان كانوا من الد الخصوم ، واشد الاعداء ،

ويرجع الفضل فيما احرزه الاسلام من انتصارات حـاسمة حولت وجه التاريخ وقلبت اوضاع العالم الى ظاهرة واحدة امتاز بها اتباع الاسلام وعرفوا بها بين امم الدنيا ، وهي الاستماتة في الدفاع عن العقيدة ، والاخلاص في الايمان بهـا ، والوثوق والاطمئنان اليهـا ، والشعور بما توحيه من عزة

وشموخ ، ومن عناصر قوة اتباع الاسلام « ان يكونوا صرحاء يواجهون الناس بقلب مفتوح ، ومبادي معروفة ، ورياح غير متقلبة فلا يصانعون على حساب الحق بما يغض من الكرامة ، ويجعلون قوتهم من قوة العقيدة التي يمثلونها ويعيشون لها ، ولا يحيدون عن هذه الصراحة ابدا في تقرير اي حقيقة من الحقائق »

قال صلى الله عليه وسلم : «اذا قال الرجل للمنافق يا سيد ، فقد اغضب ربه»

وقال الله تعالى : « ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء »

بهذه الظاهرة العجيبة ، ارتاع الخصوم ، وتزلزلت عقائدهم ، وانهارت معارضتهم ، ودخلوا في دين الله افواجا ، وبذلك استطاع اتباع الأسلام الشعور بقوة اليقين واذا لم يستطيعوا فرض مباديهم على من حولهم اقاموا كالجبل الشامخ لا تحركهم الاعاصير ، ولا تنسفهم الرياح

والتاريخ الاسلامي الحافل يحدثنا على ان العقلية الاسلامية لم تتغير من رمال مكة اين يسحب سيدنا بلال في حر الظهيرة ويعذب في سبيل مبدئه ويهدد بالقتل على ان يتخلى عن عقيدته ، ويغمغم في وجه سادته الاقوياء يقول احد احد ـ الى قصور غرناطه اين يامر قضاة ديوان التفتيش بتقتيل امام المسجد الجامع تقتيلا بطيئا ، والتمثيل به تمثيلا فضيعا على ان يترك صلاة الجماعة وامامة المسلمين ويلزم بيته فيقول ان آخر عضو في جسمي بقي ينبض بالحياة سيشهد الصلاة مع جماعة المسلمين .

فمن هنا وهناك وفي كل مكان مر به الاسلام قام صمود المسلمين ، وقوة عزائمهم ، وتعبية جهودهم وايمانهم بقوله صلى الله عليه وسلم « استعن بالله ولا تعجز » مقام خطوط الدفاع وبث الدعاة ، وتمهيد المسالك ، واذا كان هذا السلاح الرهيب . السلاح الذي لا يعتمد القهر ولا يسفك الدماء ، السلاح الذي ينتزع اعجاب الخصم ، ويزعزع كيانه ، قد لعب دورا في تكوين الدولة الاسلامية ، ومهد لامتداد دعوة الاسلام ، ونجح في هداية السادة والكبراء والموالي ، فان تخلي المسلمين عنه ، وخروجه من ايديهم ، وركونهم الى الجبن والمهانة ، والتردد في الامور ، والحيرة في الاختيار هي الاسباب الرئيسية ، في

النكبات التي حلت ببعض اتباع الاسلام وابعدتهم عن تابعيتهم السامية وقوتهم القاهرة

واذا سقط في الميدان الجبناء من الجنود ، والعصاة من الانصار ، فان المعركة مستمرة بين الحق والباطل ، والانتصارات تتتابع في جانب الاسلام ، والاسلحة ماضية قاطعة ، والحرب سجال

وشان المحارب الالمعي ، المخلص لواجبات الجندية ان يتعهد اسلحته ، وينهض الى تمريناته خصوصا اذا احلولكت الاجواء ، واربدت الافاق ، وانذرت السماء بالرعود والبروق

المسلمون اليوم في وضعهم الراهن ، وموقفهم المتحرج ، ومركزهم الاممي مسؤولون باستعراض مراحل الصراع المستمر بين حق الاسلام وباطل خصومه، وتعهد الاسلحة السلمية التي انتصر بها الاسلام ،والبحث عما ضاع من هاتيك الاسلحة الهائلة

وهذه المسؤولية تفرضها اليوم اكثر من كل وقت مضى حملة التوهين والتشكيك التي يقوم بها خصوم الاسلام ويرمون من ورائها الى تجريد المسلم من اقوى اسلحته الدفاعية ومن ثم تتسنى مهاجمة الاسلام في نفوس معتنقيه مهاجمة ناجحة

وقد راينا الصراع المستمر ياخذ سبيله في تعبية جديدة ، وفي صور مقنعة ، وينتقل الى حرب خفية تنهك الاعصاب ، وتبرد الحمية وتلهي عن الماضي بما فيه من امجاد ومفاخر ، وتحض على القشور والزخرف الكاذب وقد راينا هذا الهجوم الصامت في انفسنا وفي اهلنا ، واخواننا وشعرنا بالاقدام على مصانعة سوانا على حساب ديننا ، وقعدنا حينما يخوض الخائضون في الانكار على مبادي الاسلام ولم ننبذهم نبذ النواة ، « وقد نزل عليكم ان اذا اسمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم » وسلمنا بان من قواعد الاسلام التي نظمت حياة الدنيا وساست الامم والشعوب ما لايتاشى مع حاجات العصر او مع عصر الحاجات ، وحاولنا ان نلفق التاويل لمسايرة بعض الاهواء ، وتقريب شقة الخلف وكل هذا الذي رأينا ليس الا اثرا من آثار تغلغل سموم الاخصام فينا ، وتخلينا عن اسلحتنا السلمية المهياة للدفاع عن الذات ، او لحماية الدعوة والذود عن بيضتها ،

انه الصراع المستمر ، لا مهادنة فيه ولا سلام ، وانها الاسلحة المكيفة بحكم الازمنة والامكنة ، ولنها المسؤولية الملقاة على كواهلنا بوصفنا اتباعا اوفياء للدين الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن انسحب من المعركة غلب ، ومن تخلى عن سلاحه اسره خصمه ، ومن نام في ميدان الكر داسته السنابك ولفه الغبار

وما دام خصوم الاسلام لم يعلنوها حربا سافرة تفلق الهامات ، وترمي بالاشلاء ، وقرروا ان تكون حرب مبادي وافكار ، وفلسفات ومغالطات ، وان تطغى على كل ميدان ، وتستثمر كل حاله ، وتبرز في مظاهر شتى ، فان اليقضة امست متاكدة ، ورد الهجوم اصبح شديد الوجوب ، واعلان النفير بات لا مفر منه

او ليس من واجبات الساعة ان نذكر انفسنا بما تسلح به المسلمون ليخرجوا من الصراع المستمر منتصرين اعزاء ، وان نستعرض لمحات من تاريخ ذلك الصراع القاسي ، لنربط حلقات الحاضر بالماضي ، وناخذ الاهبة للمستقبل الآتي

ثم اليس من المجد ان نفاخر بمركزنا في ذلك الصراع الذي لم يخضه الاسلام حبا في القهر والاستيلاء ، او لاكراه الناس على السير في مسالك يفرض اتباعها ، او لاستغلال المجهود البشري ، والاستحواذ على ما اكتسبه العامل بعمله والمنتج بانتاجه وانما خاضه دفاعا عن رسالته السماوية ، وردا لعدوان الخصوم المتالبين ، ودفعا للظلم الذي يصيب اقواما ويصدر عن اقوام آخرين ، ومقاومة للباطل من حيث انه باطل ولو وصفه اهل الباطل بالحق الذي فيه يفتنون ، « بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون ، »

اننا كاتباع مخلصين لرابطة الاسلام ان لم نساهم بقسطنا في صراع الحق والباطل غمرنا السيل الجارف ، وطغت على نفوسنا وقومنا الاباحية المهلكة ودفننا الالحاد المزخرف تحت غباره المذهب ، وخصمنا الاسلام يوم نكون بسببه شهداء على الناس ويكون الرسول علينا شهيدا

هذه خاطرة اولى مما تجيش به النفوس المسلمة من خواطر سيكون هذا الباب معرضا لها ويكون لجميع ذوي الغيرة الحق في عرض نفثاتهم ضمن فصوله ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ـ نحمده ـ ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرورانفسنا وسيئات اعمالنا ، من يهدي الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له

خطبـــة منبريـــة *

الحمد لله القدير الذي تمت كلماته صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم . الرحيم الحليم الذي كتب على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم . اللطيف الذي بعث الرسل لاقامة الحجة وانارة الطريق المستقيم . فهدى من وفقه حتى ابصر الحق ابلج والباطل لجلجا . واضل من خذله فجعل على بصيرته رهجا . من يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام . ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا .

احمده حمد من علم ان بيده الخفض والرفع والعطاء والمنع والضرر والنفع فلم تـاخذه في الله لومة لائـم . ولم يخش في الاصداع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا الحي القيوم القدير الدائم . واشهد كما شهد الله اذ قال شهد الله انه لا الاه الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا الاه الا هـو العزيز الحكيم . فانا اشهد بما شهد الله بـه واستودع الله هذه الشهادة وهـي لي عند الله وديعة اجدها يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله النبي الامـي المنحدر من المجد الصميم . المتجلى بالخلق العظيم . الموصوف بانه بـالمؤمنين رؤوف رحيم . ارسله وساحة الكفر غرافية الاهاب . وظلمة الضلال واسعة الجلباب . والتدهور الخـلقي راسخ الاطناب . والظلم للانفس والاموال والاعراض شاهر السيف مكشر الانياب . فقام عليه الصلاة والسلام باعباء الرسالة حق قيام . يدعو الى سبيل ربه بـالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الشريف المعتام . ثم التجا الى الجهاد الشديد حـين لم يغن الكلام . فطهر الكعبة الشريفة من رجس الاصنام . ونصب عليها وعلى كثير من الجزيرة العربية راية الاسلام . صلى الله وسلم عليه وعلى ءاله وصحبه الكرام . المتواصين بالحق والصبر المتباعدين عن اقتراف الاثام . الذين اذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه بسلام. صلاة وسلاما دائمين دوام النور والظلام. اما بعد فيا عباد الله هذا عامكم الهجري الجديد اقبل يجر مطارفه ويقص عليكم طـرائفه . ويذكركم هجرة من اخذ من الكمال تالده وطارفه . تلك الهجرة العظيمة التي جمعت شمل الدين . وكانت عبرة للمستبصرين وعظة للمهتدين . تزيد

* خطبة منبرية لحضرة الامام الشيخ محمد العزيز جعيط شيخ الاسـلام المالكي القاهـا بجامع الحلق في الشهـر المـاضي

المؤمن ايمانا ، وتلقنه الثبات في الحق وان لقي من الطغام اذى وعدوانا ، وبشره ان النصر حليف الحق ولو ابطا احيانا ، وان ملاك الصبر على المكاره والشدائد التي تصليه نيرانا ، وان الحق لا يعدم انصارا واعوانا . فتخلقوا رحمكم الله بهذه الشيم ، وكونوا الى دينكم من اخلص الانصار والخدم ، سطروا الى السعادة من ايم ، وتكونوا من ارقى الامم. فبالدين فتح سلفنا الصالح الامصار وتركوا خالد الآثار ، واسسوا الدول العظام في غابر الاعصار ، وبمخالفة الدين باعوا القوة بالضعف والعزة بالصغار ، وصاروا اذلاء في عقر دارهم فهيمن عليهم اهل الكفر ويولونهم اشد الاحتقار ، ويفتنونهم في دينهم بانواع من الخداع والمكر العظيم الاخطار ، فاوهموهم ان الحرية العظيمة الانصار ، المحبوبة الى النفوس الكبار. لا تتحقق الا بانطلاق من قيود الدين في الاقوال والاعمال والافكار ، ولقنوا النشأ هذه العقيدة المغطاة باستار ، واطلقوا على ذلك اسم اللائكية الكثيرة الاوزار ، فنشا ما تشاهدونه في هذا الجيل من انواع الاستهتار ، والتجاهر بالفواحش الكبار ، كشرب الخمر وتعاطي القمار ، ومعاشرة النساء لقضاء الاوطار. من غير عقد شرعي يذود العار

فتنبهوا رحمكم الله الى ان اللائكية تخالف الدين في الايراد والاصدار ، ولا تغتروا بمن يلبس عليكم امر دينكم ويدعيُ انها لا تخالف الدين اذا عرضت على محك الاختبار ، فان ذلكم من زور القول وكذب الاخبار.

واعلموا رحمكم الله ان اليوم العاشر من شهركم هذا من المواسم الدينية ، جعل الشارع صومه من اعظم القربات المرضية ، ولم يثبت فيه غير الصوم بسند صحيح مأثور. فالتقرب فيه بغير الصوم كالتقرب في غيره من ايام الشهور. اما مالا قربة فيه مما اعتاد الناس فعله في هذا اليوم ، فمن البدع الشنيعة الموجبة للوم

اخرج مسلم في صحيحه عن ابي قتادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله وصيام يوم عرفة احتسب على الله ان يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله ان يكفر السنة التي قبله

ان ابلغ ما يطرق آذان السامعين وانفع ما يشرح صدور المؤمنين كلام الله رب العالمين اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين



لغويـات

الجــزالــة

لحضرة شيخ الجامع الاعظم

يكثر لك العثور في كلام ائمة النقد وصناعة الانشاء والشعر على ذكرهم وصف الجزالة في محاسن الالفاظ وربما عدها بعضهم في محاسن المعاني ايضا فقد قال المرزوقي في مقدمة شرحه لديوان الحماسة : «فطلبوا المعاني المعجبة من خواص اماكنها وانتزعوها جزلة عذبة »

ولم أر منهم من افصح عن مقومات هذه الصفة وشرائط حصولها وانا ابذل مبلغ جهد الفكر في الكشف عن مفاد هذا الوصف واقدم ما هو منه وصف للفظ ثم اتبعه بما هو منه وصف للمعنى

فاما الجزالة فهي وصف للفظ ماخوذة من صفات الناس اذ الجزالة في الانسان هي جودة رأيه وكمال عقله واتقان فهمه فبها يكون الانسان جزلا اي كامل الانسانية . وقد استحسن الفقهاء في القاضي ان يكون ذا جزالة راي وارادوا هذا المعنى

وجزالة اللفظ عرفها ابن مكرم في لسان العرب فقال : الكلام الجزل القوي الشديد واللفظ الجزل خلاف الركيك

وظاهر ان مرجع هذا الى معنى اللفظ المركب او المفرد لا الى مبناه وصورته فليست الجزالة تنافر الحروف ولا تنافر الكلمات ولا غرابة الكلمة

فلنتطلب حقيقة الجزالة عند ايمة النقد ونتقصاها من آثار كلماتهم ونتعرفها من تعرف ضدها الذي يقابلونها به

فابن رشيق في العمدة ذكر الجزالة وعطفها على الفخامة عطفا يظهر منه انه اراد به التفسير قال (١) منهم قوم يذهبون الى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما

وقال (٢) : وشبه قوم ابا نواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة

ووصف عبد القاهر الجزالة فقال (٣) : من البراعة والجزالة وشبههما مما ينبىء عن شرف النظم ....

وقال عند ذكر النظم (٤) :ان تقتفي في نظم الكلم آثار المعاني وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس

وذكر ابن شرف القيرواني في رسالة الانتقاد (٥) : الجزالة

فقال عند ذكر لبيد : شعره ينطق بلسان الجزالة عن جنان الاصالة

فلا تسمع الا كلاما فصيحا ومعنى مبينا صريحا (٦) وقال في ابن هاني الاندلسي « الا انه اذا ظهرت معانيه في جزالة مبانيه رمى عن منجنيق يؤثر في النيق » (٧) فجعل الجزالة وصفا للمباني اي الالفاظ . وقال ابن الاثير في المثل السائر في المقالة الاولى في الصناعة اللفظية (٨) قد جاءت لفظة واحدة في آية وفي بيت فجاءت في القرآن جزلة متينة وفي الشعر ركيكة ضعيفة فاثر التركيب في هذين الوصفين الضدين اما الآية فقوله تعالى ان ذالكم كان يؤذي النبيء واما البيت فقول ابي الطيب :

تلذ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغرام

١) صفحة ٨٠ من طبعة امين بمصر ٢) صفحة ٨٥ من تلك الطبعة ٣) صفحة ٤٦ من كتاب دلائل الاعجاز طبع مطبعه المنار ٤) صفحة ٣٩ من الكتاب المذكور ٥) طبع مصطفى البابى الحلبي مع رسائل البلغاء بمصر سنة ١٣٣١

٦) صفحة ٣٤٤ من مجموعة رسائل البلغاء نشر الاستاذ محمد كرد علي طبع البابي بمصر سنة ١٣٣١

٧) صفحة ٢٥١ من مجموعة الرسائل المذكورة

٨) صفحة ٨٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٢

وهذا البيت من المعاني الشريفة الا ان لفظة تؤذي قد جاءت فيه وفي الآية فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها وكان موقعها حسنا في تركيب الآية »

وقال ابو البقاء العكبري في كلياته « الجزالة اذا اطلقت على اللفظ يراد بها نقيض الرقة » اهـ

وقلت قد رايتهم يقابلون الجزالة مرة بالرقة ومرة بالركاكة ومرة بالضعف ومرة بالكراهة فتحصل لنا من معنى الجزالة انها كون الالفاظ التي ياتي بها البليغ الكاتب والشاعر الفاظا متقاربة في استعمال الادباء والبلغاء سالمة من ركاكة المعنى ومن اثر ضعف التفكير ومن التكلف ومما هو مستكره في السمع عند النطق بالكلمة او بالكلام . فهذه الجزالة صفة مدح وقد مثلوا للركاكة بقول بعضهم

يا عتب سيدتي امالك دين … حتى متى قلبي لديك رهين
فانا الصبور لكل ما حملتني … وانا الشقي البائس المسكين

وفيه ركاكة من جهات منها كون المعنى اجوف دائرا بين جميع العامة و كون جل الالفاظ مرذولا وذكر البائس والمسكين بعد الشقي وفي الشقي مايغني عنهما ومن الركاكة قول الخوارزمي يخاطب بديع الزمان الهمذاني خطاب مفاخرة

واذا قرضت الشعر في ميدانه … لا شك انك يا اخي تتشقق(١)

فقوله في ميدانه لاموقع له وقوله يا اخي لا مقام له لان الكلام في مقام مناظرة ومشادة وكذلك لفظ لاشك فانه ليس من الالفاظ الشعرية

واذا قابلوا الجزالة بالرقة فانما يريدون بها نسج الكلام على منوال القدماء في الشدة والقوة كقول اشجع :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد … رصدان ضوء الشمس والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا … سلت عليه سيوفك الاحلام

ويريدون بالرقة نسجه على منوال المحدثين في اللين والظرف واظهر مثال جمع هذين الوصفين قول جميل :

الا ايها النوام ويحكم هبوا … اسائلكم هل يقتل الرجل الحب

١) مناظرته مع بديع الزمان المثبتة في رسائل البديع طبع الجوايب بالاستانة

الصدر خليل بو حاجب

لحضرة العلامة الشيخ محمد الفاضل
ابن عاشور المفتي المالكي

ان للحياة التونسية ، في النصف الاول من هذا القرن ، اعلاما ، يعتبرون في طرائق الحياة الاجتماعية ، ومنازع الذوق ، ومناهج التمدن ، قادة السلوك ، واساتذة التوجيه ، مما لا يقل عما كان لقادة الفكر ، واساتذة العلم ؛ من تاثير تاصل في النصف الاول من هذا القرن ، فاظل النصف الثاني منه ، واننا حين نعتبره اليوم ، بما في حياتنا الحاضرة ، من مثل تولدت عن ازدواج مظاهر المدنية العصرية بتقاليد حضارتنا الاسلامية المتينة ، لنتوجه بانظار الاعتبار ، الى الذين دهمتهم الغمرة الاولى من تيار هذا الانقلاب ، فخاضوها مزودين ببقايا الاحساب

قال بعض ائمة الادب « هذا البيت اوله اعرابي في شملته وآخره مخنث من مخنثي العقيق بتفكك »

الا ترى ان قوله ويحكم من كلمات التعجب وهي جزلة فلو قال أفديكم لاعتاض عن الجزالة بالرقة

وقد تقال الجزالة في هذا الاطلاق على الكلام الذي يصدر في اغراض تناسبها الشدة كالرثاء والحماسة وتقال الرقة على كلام في اغراض يناسبها اللين واللطافة كالنسيب والزهريات والملح

والجزالة في هذا كله من صفات الالفاظ باعتبار المعاني ويظهر تصرف البليغ في صناعتها بالخصوص في صوغه المعاني التي يصوغها في نفسه من مجاز واستعارة وتمثيل وتشبيه وكناية وانواع البديع . واما المعاني الوضعيه فتأتي بطبع سياق الكلام وتأتي الالفاظ تبعاً للمعاني وعلى هذا الاعتبار ينبي وصفهم المعنى بالجزالة

وخوالد الآداب ؛ وخرجوا منها منتصبي القامات لم ترهقهم اعباء رسالة المجد التي احتملوها عن الماضي فادوها الى مستقبلهم الذي هو حاضرنا في قوالب آداب الانتهاج التي اخرجت الصورة الحاضرة لتقاليد حياتنا الاجتماعية لا تقدح في في شرف الماضي ولا تغض من نور الامجاد الاصيلة الساطع عليه

ولقد كان مترجمنا مثالا نادرا من مثل الشبيبة المتمدنة في صدر هذا القرن الذين هياهم شبابهم لاعلى منازل الرجولة وحاطهم في مظاهر سلوكهم المستقيم ما رفع منزلتهم عند الشيوخ الذين تفصلهم عنهم فوارق السن والبيئة والمؤثرات حتى كان الاعجاب يطهر منابتهم واستقامة مسالكهم خير ما زكى مآخذهم من التمدن الحديث في نظر الجيل السابق ؛ فقربت الحضارة الحديثة من تقديرهم وارتبط الجيلان برباط الثقة والاطمئنان

ثم كان في حياته العامة كما خدم من المشاريع القومية ونصح للحياة الاجتماعية؛ وعف في الحياة القضائية وبرع في النظم الادارية ؛ وزان من المناصب الملكية تحقيقا لحسن الظن به ؛ وحجة لمقدرة التونسي على اظهار استعداداته متشكلة بمقتضيات الاطوار وبرهانا على انه الحقيق بشرف بنوته لذلك الوالد العظيم شيخ الاسلام سالم بو حاجب وناهيك بها .

ولد سنة ١٢٨٠ بدار ابيه بسفح جبل المنار وهو ثاني اولاده الذكور فنشأ في حجر عنايته وتربيته وقدكان مثالا فذا في رقي المدارك وحرية الفكر وسمو المرامي في توجيه ابنائه وانشأهم على تصريف المواهب وتربية الغرائز وتوسيع الملكات وتلقى مترجمنا في طور تعلمه الاول تعليما قرآنيا بالكتاب وعند انشاء المدرسة الصادقية وكان والده احد منشئيها والمشرفين على مبدا ظهورها كان المترجم في طليعة من دخلها في اول يوم فتحت فيه ابوابها المحرم سنة ١٢٩٢ واتصل في تلك المدرسة بالمحيط الواسع وتعرف الى عصر النهضة في اشد الاوساط اهتزازا به واغترف من تيار العزم الاصلاحي في اصفى منحنى رقرقت فيه روح الوزير خير الدين وكان والده بما يمتاز به من نضوج الفكر وسمو النظر المتوغل في حياة النهضة الاروبية خير مرجع له في صقل تلك التأثرات واقرارها وحسن توجيهه

بها ، واتصل بالجامعة الزيتونية العظمى فتردد على دروسها ؛ وتأكدت صلاته بابناء عصره من نخبة النجباء طلبة والده فكان مشتركا في اعمالهم ومناهجهم وبحوثهم ومحاوراتهم بما زاده اقترابا من روح الثقافة الاسلامية وانطباعا على مناهجها .

وفي سنة ١٢٩٧ كان قد انهى تعلمه بالصادقية الى غاية مراحل اقسامها فسافر مع اخيه الاكبر الاستاذ عمر لاكتمال دراستهما الثنوية بفرنسا ، ولم يكونا ضمن البعثة التي سافرت على نفقة الدولة ولكن سفرهما كان بعناية والدهما الخصوصية ؛ وكان في اقامته بفرنسا كثير التردد على ايطاليا لمقام الصديق الحميم لوالده بها وهو الوزير حسين الذي كان من صداقته مع الشيخ سالم بو حاجب ما عقد بينه وبين ابناء الشيخ صلات اشبهت علاقة التبني ، كما كان امتزاجه شديدا في حياته الاروبية باخوة نشاته ابناء امير الامراء محمد البكوش الذي كان ايضا من خاصة اصدقاء والده ولاسيما كبيرهم الرئيس محمد الصالح والاستاذ محمد الشاذلي ؛ فكان هؤلاء الاربعة اول المسافرين لاستكمال التعليم العالي في اروبة على نفقة اوليائهم

وفي سنة ١٢٩٩ عاد مترجمنا الى تونس بعد ان عاد اليها ابناء البعثة الرسمية من خريجي الصادقية فانخرط في سلك الهيأة التعليمية عند تاسيس ادارة العلوم والمعارف سنة ١٣٠١ ولم يطل مقامه في الهياة التعليمية حتى انفصل عنها سنة ١٣٠٦ فانخرط في السلك الاداري بقسم الترجمة الذي كان لذلك العهد خط الوصل بين الوزارة الكبرى والكتابة العامة وكان مؤلفا من موظفين هم لامعو طلبة المدرسة الصادقية في عهدها الاول واكثرهم من افراد الارسالية العلمية الراجعة من فرنسا فكان متين الصلات بزعيم نهضة الشباب يومئذ محمد البشير صفر ومن ابرز العاملين حوله في المصالح الكبرى واعظمها تاسيس الخلدونية

وفي حياته الادارية توثقت صلاته الشخصية بوزير القلم امير الامراء محمد الجلولي فكان بمنزلة الملحق الخاص بديوانه متصلا بعمله الاداري وشؤونه الخصوصية مرافقا له في رحلاته واهمها رحلة باريز سنة ١٣٠٨ لافتتاح القسم

الشرقي بمعرضها العام المقام في تلك السنة سنة ١٨٨٩ ميلادية وفي تلك السنة انتقل الى مجلس الاحكام الجنائية بصفة مترجم خاص للقسم فاصبح مدار الناحية الادارية من حياة المحكمة الجنائية ، واستمر كذلك الى سنة ١٣١٤ فبرز منصبه ذلك بتسميته رئيسا لمكتبة المجلس الجنائي ، ونال اختصاصات رئاسة كتابة المحكمة على الوجه الاكمل ، فكان بذلك مؤسسا لقواعد الهيكل الاداري للعدلية التونسية

وفي تلك السنة ايضا اتفقت له اغرب مصادفات حياته ، وابعدها اثرا في تكوين الصبغة التي امتاز بها ، وذلك ان اميرة من خلاصة الاسرة المالكة في مصر ، هي الاميرة نازلي ابنة الصدر الاعظم مصطفى فاضل باشا ولي عهد المملكة المصرية سابقا وابن والدها العظيم ابراهيم باشا ، كانت قد عاشت في مصر ، ونبهت لثقافتها وذكائها ، فالتأم حولها اعظم ناد كان بعيد الاثر في هيئة النهضة المصرية يعمره الشيخ محمد عبده ، ومحمد المويلحي ، وسعد زغلول ، وقاسم امين ، ثم انتقلت الى الاستانة ، قبيل الاحتلال الانكليزي لمصر ، عند انتقال والدها على اثر الخلاف بينه وبين اخيه ، الخديو اسماعيل ، فاتصلت بالخليفة المقدس السلطان عبد الحميد الثاني ، وبحركة الاحرار الوطنيين ، وقامت بينهما بادوار هامة وكانت كثيرة التردد على باريز وايطاليا ، فتعرفت بالوزير حسين ، والشيخ محمد بيرم ، ومحظت ما في هؤلاء الشبان التونسيين الذين راتهم في اروبة من السلوك المعتدل البعيد عن تنطع غيرهم من الشباب المستهتر في مجاري الحضارة الغربية فكان ذلك محرضا لها على زيارة تونس ، فقصدتها بوصاية آل بيرم واستقرت اول امرها بقصر البكوش باريانة ؛ وهنالك اتصلت بالمترجم واخيه ووالده بما كان يربطهم من العلائق المتينة مع ارباب ذلك البيت ، وبما لاحظت من مزايا المترجم الخلقية وكمالاته المعنوية رغبت في التزوج به وكانت تتقدمه في السن كثيرا فتزوجها سنة ١٣١٥ وسافر للبناء بها في القاهرة على تقاليد البيت المالك المصري فحظي بمنزلة فائقة عند الخديو عباس وقلده الكمندور من النيشان العثماني على الطريقة المتبعة يومئذ من تصرف خديو مصر في تقليد الرتب العثمانية بتفويض سلطاني ورجع الى تونس تحيط بحياته هالة جديدة من البذخ الاميري فسكن ببستانه

الانيق في الشمال الغربي من ضاحية المرسى واصبح منتدى الاخيار من اهل العلم والنبل والادب والعف وملتقى الاجيال من طبقة والده الذي كان يؤمئذ في عشرة الثمانين الى الطبقة التي دون سن رب المنزل من طلائع الثبيبة النيرة فكانت المجالس الفائقة والمآدب الرائقة شنشنة ذلك البيت ومجتمع الآراء والنكت والمعارف والمحاورات بما جدده في تاريخ النهضة التونسيــة عهد نادي الاميرة نازلي في تاريخ النهضة المصرية . وفي هذا الطور تأكدت صلاته الودادية مع الامير المقـدس المولى محمد الناصر قبل ولايته العرش

وبذلك كان بيته مقصد الوافدين على البـلاد التونسية من اعلام الشرق ونقطة التقائهم بالمستفيدين من تلك الصلات من رجال التفكير التونسي فكان الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله عند زيارته الثانية لتونس سنة ١٣٢٣ نــازلا ذلك البيت ونورا لمنتداه

وتوالت رحلات المترجم الى اروبة والى الشرق مستصحبا معه في كل وجهة رجالا من اهل وده وانسه الذين هم اساطين النهضة الفكرية حتى هو الذي تسبب في زيارة الرئيس الجليل محمد البشير صفر للبـلاد المصرية وما تاكد لـه فيها من الصلات في الاوساط الثقافية والسياسية

وسمي سنة ١٣٢٩ رئيسا لقسم البحث بالعدلية التونسية . وتـقلد في العام الموالي الصنف الاول من نيشان الافتخار . وفي سنة ١٣٣١ توفيت زوجته الاميرة نازلي بمصر في احدى زياراتها لها منفردة عنه فسافر الى مصر ثم رجع الى تونس فاسندت اليه وكالة الحق العام بمحكمة تونس الابتدائـية فكان التونسي الواضـع لمنهج مباشرة الادعاء العمومي لدى محاكم العدلية التونسية

وفي ذي الحجة سنة ١٣٣٣ سمي شيخ مدينة للعاصمة التونسية مع بقائـه مكلفا بنيابة الحق العام وتقلد الشريط الاكبر من نيشان الافتخار . وفي سنة ١٣٣٥ تمحض لمشيخة المدينة وسمي امير امراء

وقام باعباء مشيخة المدينة في ظروف حرجة اثناء الحرب العظمى فحمى الامن وقاوم الاحتكار وحفظ شرف المدينة وتقلد بتلك الصفة شريط عهد الامان

وفي رمضان سنة ١٣٤١ انتخب لوزارة القلم اثر الحوادث التي افسدت ما بين الملك الناصر ، طاب ثراه ، وبين وزرائه ؟وكان في اثناء تلك الحوادث مرشحا للوزارة الكبرى ، ولكنه قصر عند وزارة القلم ، ـ باستقالة الصدر محمد الطيب الجلولي ، وولاية الصدر مصطفى دنقزلي ، وبقي جامعا لوزارة القلم ومشيخة المدينة

وقد اشترك في تأسيس جمعية احباس الحرمين الشريفين ، فتوثقت صلاته بسبب ذلك باساطين العلم في المغرب . كما توثقت قبل باساطين العلم في المشرق وعرفت وفود المغرب العربي رفعة بيته، وشرف منزلته ، وكرم ضيافته . وسافر مرات على راس الوفود السامية الى الجزائر والمغرب الاقصى وباريز ، ورافق الملك المقدس المولى محمد الحبيب في سفرته الثانية الى فرنسا سنة ١٣٤٥

وانتقل الى مسند الوزارة الكبرى في ربيع الثاني سنة ١٣٤٥ فكان فيها مثالا بارزا لحسن تمثيل الذاتية التونسية وتقلد بتلك الصفة نيشان الدم الحسيني الرفيع الشان

واقام مع المولى المقدس محمد الحبيب على الوزارة الكبرى الى آخر ايام ملكه ثم كان وزير المولى المقدس احمد الثاني فتقلبت علائقه معه بين ضياء وظلمة وقامت ضده واجهة من رجال القصر الملكي قوي منالها منه بالجو المكفهر الذي تكون حوله بمواقف المضادة بينه وبين وزير العدلية طاهر باشا خير الدين ثم بالارتباكات التي نشات له عند رئاسة لجنة الاصلاح الزيتوني سنة ١٣٤٩ واستهدافه لحملة صحفية كبرى كانت نهايتها استحكام العداء بينه وبين مخدومه الملك احمد الثاني فاضطر الى الاستقالة في شوال ١٣٥٠ واقام معتزلا الحياة العامة في حالة صحية متراجعة الى ان توفي في شوال سنة ١٣٥٨ تلقاه الله باحسانه وتغمده برحمته وغفرانه

المجلة الزيتونية

رئيس التحرير :

محمد المختار بن محمود

كاهية شيخ الاسلام الحنفي

المدير :

محمد الشاذلي بن القاضي

الاستاذ بالجامعة الزيتونة

الادارة : نهج ابن محمود رقم ٦ بتونس هاتف ٩٤٦ ٢٤٢

قيمة الاشتراك عن سنة ستمائة فرنك يخصم الربع لتلامذة المعاهد العلمية

ثمن الجزء ٦٠ ف

١٣٧٤ - ١٩٥٥

مطبعة الترقي - نهج القاهرة رقم ٨ - تونس

٧ ٥ ٣٧